الجزء الثاني

الكتابة التعبيرية

obeikandl.com

الكتابة التاريخية

تعريف

التاريخ : تعريف الوقت ، والتوريخ مثله . أرخ الكتاب ليوم كذا : وقته ، والواوفيه لغة . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة [١] . وقد اختلف العلماء فى أصل هذا اللفظ ، فذهب به بعضهم إلى العربية الخالصة ، فقال : إن التاريخ مأخوذ من لفظ الأرخ ، بمعنى ولد البقرة الصغير ، لأنه يشبه الشىء الحادث كما يحدث الولد ، فهو حَدَث جديد [٢] . وعزاه بعضهم الآخر إلى الفارسية ، فقال : إن أصله «ماه روز» بمعنى «يوم الشهر» فعربوها ، فقالوا «مؤرخ» وجعلوا المصدر منها «التاريخ» [٣] . وهو اشتقاق بعيد ، لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين العربى والفارسى .

ويتصل هذا القول ـ دون شك ـ بالخبر القائل بأن المسلمين تأثروا بالفرس فى أخذهم تاريخ الهجرة تقويما لهم ، إذ أشار الهرمزان الفارسى على عمر بن الخطاب بذلك [٤] . ولكننا نرجح الرأى القائل بعربية الكلمة ، وإن كنا لا نشاركهم فى أنها مأخوذة من الأرخ ، وإنما هى كلمة عربية قديمة مشتركة فى اللغات السامية ، تلوح القرابة بينها وبين كلمتى « يَرِح » التى معناها « القمر » و « الشهر » فى العبرية [٥] . ومن المعروف أن الساميين كانوا

---

(١) لسان العرب ، مادة « أرخ » . (٢) المصدر السابق .
(٣) البيرونى : الآثار الباقية ٢٩ ، والخوارزمى : مفاتيح العلوم ٧٩ .
(٤) نفس المرجعين . (٥) جب : دائر المعارف الإسلامية مادة «تاريخ» .

obeikandi.com

تحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس ، ولذلك كانوا يبنون تاريخهم على الليالى دون الأيام ، كما هو الحال فى التقويم الهجرى الآن . وعلى هـذا الرأى نرى أن معنى كلمة «التاريخ» فى مبدأ أمرها كان «تحديد الشهر» ، ثم اتسع فصار التوقيت العام أى تحديد عهد أى حادث من الحوادث . ولا زالت اللغة فى تطورها حتى شمل هذا اللفظ رواية الحادث نفسه من جهة ، وتحديده من جهة أخرى ، وكانت هذه الخطوة الأخيرة فى سبيل بزوغ كلمة التاريخ بالمعنى الاصطلاحى المعروف .

وأطلق لفظ التاريخ فى عهده الأخير على عدة معان متقاربة . فهو بمعنى التاريخ العام ، أى تسجيل أهم الحوادث كما يظهر فى تاريخ الطبرى قبل الإسلام والكتب الأخرى ؛ وهو بمعنى الحوليات ، أى تدوين الحوادث عاما فعاما مثل تاريخ الطبرى بعد الإسلام وتاريخ ابن الأثير وغيرهما ؛ وهو بمعنى تدوين الأخبار مرتبة بحسب العصور ، مثل سيرة معاوية و بنى أمية لعوانة ابن الحكم ؛ وهو بمعنى التراجم ، كما نرى فى كتاب «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» لابن القفطى ومعجم ابن خلكان وغيرهما . وأطلق أيضا على مصنفات تختلف عن المصنفات التاريخية اختلافا كبيرا ، مثل «تاريخ الهند» للبيرونى ، إذ هو أقرب إلى مصنفات البحوث العقلية منه إلى المصنفات التاريخية . ويعنى إلى جانب كل هـذه المعانى ، المعنى اللغوى الأول ، أعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور ، أو حساب الأزمان وحصرها ، أو تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا .

الفصل الأول

ظهور الكتابة التاريخية

العصر الجاهلي

تكلمنا ـ قبل ـ عن العصر الجاهلي ، وما عرف فيه من كتابة . ولكننا إذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن أي نوع من الكتابة التاريخية ، لم نكد نظفر بشيء ، حتى البلدان المتحضرة التي كنا نظن أنها تحرص على تسجيل حياتها ورقيها ، مثل اليمن والحيرة وغسان ، لم يصل إلينا منها كتب تاريخية أيضا ، وكان تاريخها نسيا منسيا لدى العرب ، سكانها أو غير سكانها ، ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عند ما أرادوا الكتابة عنها بعد ظهور الإسلام ، وحلق بهم الخيال في الأجواء ، حتى ما نستطيع أن نركن إلى حقيقة مما يقولون . على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية في اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوبي الشام ، مما يدل على جهل المؤرخين العرب بالخط الحيري والخطوط الأخرى في بلاد العرب القديمة. والشيء الوحيد الذي نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية المودعة في أديار الحيرة وكنائسها والتي اطلع عليها الكلبي فيما بعد ، وإن كنا لا نعرف عنها شيئاً فيما عدا ذلك [1] .

ولا يمكننا الركون كثيراً إلى الوثائق التي تروى في كتب التاريخ الإسلامية

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣٧ .

عن هذا العصر ، وإنما نقابلها بالشك الشديد ، الذى تثيره فينا ظروف هذه الوثائق ومثالها الواضح تلك الوثيقة التى يذكرها أبو حنيفة الدينورى فى تاريخه أن عمر ابن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح آخر ملوك اليمن أرسلها إلى الكرمانى حسب طلب الأخير (١) . وكانت هذه الوثيقة عبارة عن حلف عقد بين ربيعة واليمن أمام تبع بن ملكيكرب . وعبارة الوثيقة مسجوعة ، وفيها عدة إشارات إلى ضروب النسك الوثنى ، وإن كانت تبدأ بعبارة إسلامية تقول : « بسم الله العلى الأعظم ، الماجد المنعم » ، وتنتهى بذكر الله وشهادته على الحلف كما كان يفعل المسلمون ، إذ تقول : « وشهد الله الأجل ، الذى ما شاء فعل » . ولا شك أن المرء حين يقع نظره على الرسالة يغمره الشك فيها من جميع الأنحاء .

الأيام

ولكن العرب — على الرغم من كل ذلك — عرفت نوعا من التاريخ الشفهى ، فقد كانت القبائل تروى أيامها : حروبها وانتصاراتها ، لتفخر بها على القبائل الأخرى ، سواء كان ذلك شعراً خالصا أو نثرا تتخلله الأشعار . ولم تكن الصلة واحدة دواما بين الشعر والنثر فى الأخبار ، فأحيانا يكون النثر شرحا للقصيدة ، وأحيانا يكون الشعر مرتجلا على لسان أحد أبطال الخبر دون أن تربطه صلة بالخبر المنثور . وكان الشعر فى كلتا الحالتين هو الذى يحافظ على تناقل الخبر وانتشاره فلما نسيت هذه الأشعار نسيت الروايات القديمة ، وابتكرت أشعار جديدة للتنويه بمآثر القبيلة من أفعال مجيدة . وعلى الرغم من كل ذلك فإننا

---

(١) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى : الأخبار الطوال ٣٥٢ .

نستطيع أن نطمئن إليها بعض الاطمئنان ، إذ لابد أنها تقوم على أساس واقعى ، وإن اصطبغت بالتحيز والمغالاة .

الأنساب

وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها ، وتحفظه أبناءها ، لتظل نقية بعيدة عن الشوائب ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى . وسيكون لهذا الفرع من التاريخ مكانته بعد الإسلام .

وهكذا وجدت هذه القصص التاريخية المصبوغة بالخرافات والأساطير لدى القبائل ، وكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها ، وترويه لأجيالها القادمة . ولكن عرب الشمال لم يصلوا بعد إلى تاريخ عام لهم ، يشمل كل قبائلهم ، إذ لم يكونوا قد أدركوا معنى الوطن ، ولم تكن وحدتهم الظروف فى أمة واحدة .

تاريخ الأمم المجاورة

وعرف العرب تاريخ من جاورهم من الأمم ، مثل الفُرْس والرومان ، حتى ليقال إن النَّضْر بن الحارث كان ينافس الرسول ، ويُدِل عليه بمعارفه عن الفرس . ولكن ذلك التاريخ كان قصصا وخرافات ، لا تختلف عما عند عرب الجنوب والشمال فى أغلب الظن .

ظهور الإسلام

لما جاء الإسلام انتشرت فى المملكة الإسلامية فى هذا العهد حركة تاريخية أخذت تتسع وتنتظم شيئاً فشيئاً ، حتى خلفت لنا ثروة أدبية من أغنى ثروات الأدب العربى ، وكانت أهم العوامل التى بعثت تلك الحركة هى :

(١) احتاج المسلمون فى تفسير الآيات القرآنية إلى معرفة مناسباتها ، أعنى سبب نزولها ، والموضع الذى نزلت فيه ، والحادثة التى تشير إليها ، وما إلى ذلك مما يسمى ما حول النص . ومن الواضح أن معرفة هذه الأشياء تحتاج إلى بحث تاريخى فى حوادث الإسلام ، وهكذا كان التفسير من العوامل التى دعت إلى الكتابة التاريخية .

وقد أكثر القرآن أيضاً من الإشارات إلى الأمم والقبائل والأنبياء فى قصصه عن الغابرين فرغب علماء المسلمين فى فهم هذه الإشارات وتوضيحها . وكان الإسلام قد أظل كثيراً من اليهود والنصارى ، فلجأ إليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الإشارات ، فأخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والإنجيل وشروحهما ، فربطها المسلمون بالتفسير والتاريخ ، واشتهرت هذه الأخبار فى العلمين باسم « لإسرائيليات » . ويتمثل لنا ذلك فى كعب الأحبار (المتوفى عام ٣٤ هـ) ووهب بن منبه (المتوفى عام ١١٠ هـ) . ولا تزال آثارهما فى كتب التاريخ والتفسير التى وصلت إلينا .

(٢) كان الحديث أيضاً من عوامل ظهور الكتابة التاريخية ، إذ عُنِىَ المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا منها أحكام الدين . وكان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة النبى والصحابة ، فجُمعت فيما جمع ، وكانت أساس كتب السيرة والمغازى فيما بعد .

(٣) شعر بعض الخلفاء أنهم محتاجون إلى نبراس يهتدون بهديه فى سلوكهم ، إذ لم يكن لهم تراث عربى يقتدون به ، كما أنهم رأوا ممالك أجنبية بهرتهم حضارتها ، فأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها . فقد كثرت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى هدمت نظام الخلافة ، وأقامت نظام الملك وواجه العقل العربى ، الذى كان ساذجا فى جاهليته ، مشكلات حقيقية ، منها

ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة المادية والاجتماعية ، فرأى ألا بد من الاستعانة بأخبار من سبقه من العقول ليستنير بها . روى المسعودى [1] عن معاوية أنه كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر إلى ثلث الليل فى أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات » .

(٤) كان الأجانب الذين أظلهم الإسلام يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ، ويرون لهم أفعالهم المجيدة فى ماضيهم ، فاضطر العرب إلى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف بإزاء هذا الفخر الأجنبى ، ويظهرون لأبنائهم وغيرهم من الأمم أنهم ، وإن كانوا حديثى عهد بالحضارة ، ليسوا أقل من الأمم الأخرى مجداً ومكانة . وكان هذا من دواعى ظهور الكتابة التاريخية فى الأمة اليونانية أيضاً .

(٥) كان نظام الحكومة الإسلامية ، وخاصة النظام المالى ، من العوامل التى أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لأن الضرائب على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحاً ، أو عنوة ، أو بعهد ، وكانت العاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف فى بعض البلدان تبعاً لما حدث فى أثناء فتحها ، فدعا كل ذلك ، والنظام المالى خاصة ، إلى بحث تاريخ الفتوح ، والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ . ودعا النظام المالى إلى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وذلك لأن نظام العطاء

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢ : ٥١ :

تغير منذ عهد عمر ، فصار بحسب الأسبقية إلى الإسلام ، أي أن الذين أسلموا في أول الدعوة يأخذون من العطاء أكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن أسلم وهاجر يأخذ أكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن أسلم وشهد بدراً يأخذ أكثر ممن لم يشهدها من الذين أسلموا بعدها ، وهلم جرا . وكان هذا النظام سبباً في البحث الدقيق في الدعوة الإسلامية وانتشارها . كما كان العطاء مرتباً أيضاً حسب الأنساب، أي يبدأ بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، ثم قرابة أبي بكر ، ثم عمر . . . وهكذا في الأنصار، وفي جميع المسلمين . ومن الواضح أن هذا النظام يدعو إلى البحث في الأنساب ، وظهور هذا النوع من التاريخ ، وظهور كتب الطبقات أيضاً .

(٦) ابتداء حركة التأليف في العلوم الأخرى المعروفة بين العرب في ذلك الوقت، حتى إننا نجد صُحَارا العبدي يؤلف كتاباً في الأمثال . ثم يتطور الأمر بمرور الزمن فتترجم بعض كتب الكيمياء في عهد خالد بن يزيد بن معاوية ، ويأمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث ، وترجمة كتاب في الطب ، ويقول بعض الرواة إن عروة بن الزبير أحرق بعض كتب ألفها في الفقه في يوم الحَرَّة [1] . كل هذه الحركة التأليفية تدل على أن العقل العربي كان يعاني تحولا خطيراً ، وأنه آخذ في التمدن السريع ، والمشاركة في التدوين والتأليف .

(٧) وآخر الأمر لا ننسى استمرار ما كان في الجاهلية من عناية بالأنساب والأيام ، ازدادت في العهد الإسلامي ، لأنها تغذي الشعراء في ميدان الفخر والهجاء والنقائض التي شاعت في هذا العصر ، وكان لها المقام الأول في شعر الفحول . واتخذ هذا النوع من التاريخ لوناً جديداً أيضاً ، هو العناية بغزوات الرسول . فما كان ذلك النوع من التاريخ إلا استمراراً لما عهد عند الجاهليين ، إلا أن الإسلاميين قيدوا ، والجاهليين حفظوا ورووا .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٣٣ .

الباب الثالث

المؤرخون وكتبهم

الكتاب الأول

اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخى فى المسلمين ، فأخذوا ينظرون فى هذا الفن ، باحثين منقبين ، وشرعوا يروون الأخبار التى يستطيعون الوصول إليها . ولكننا لا نلبث أن نرى هذه الأخبار الشفوية تدون فى عهد معاوية ، فى رسائل صغيرة تسمى كتبا . وكان هذا تحولا خطيراً ، يبشر بما سيتلوه من تقدم ورقى فى الدراسة التاريخية . ولا ندرى بالتحقيق ما أول كتاب ظهر فى التاريخ عند العرب . ولكن يتنازع الأسبقية زياد ابن أبيه (المتوفى عام ٥٣ هـ) ودغفل النسابة البكرى (المتوفى عام ٦٠ هـ) وعبد الله بن عباس (المتوفى عام ٦٨ هـ) وعَبِيد ابن شَرِيَة الجُرْهُمِىّ (المتوفى عام ٧٠ هـ تقريبا) .

زياد ابن أبيه

أما زياد ابن أبيه فقد ألف كتابا فى مثالب العرب[1] . ولا يدهشنا ذلك كثيراً ، إذ نعرف قصة نسب زياد ، واستلحاق معاوية إياه ، وكراهية المسلمين لذلك ، بل سخرية بعض الشعراء من هذا الاستلحاق . ولذلك أراد أن يُزَوِّد

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

نفسه وأبناءه بسلاح يخيف به المتعرضين له ، ويشعره بعدم نقصه ، بل بنقص الآخرين فى هذه الناحية . ولذلك أرجح أنه كتاب فى الأنساب خاصة ، وأنه ألفه بعد استلحاق معاوية إياه ، وتعيير الناس له . ويؤسفنا أن هذا الكتاب فقد ، ولم يبق لنا منه شىء ، وإن كنا نرجح أن كتب الأنساب والشعر بين المتأخرين أخذت عنه .

دغفل النسابة

أما كتاب دغفل النسابة فمجالس وأسمار ، فى بلاط الخليفة معاوية بن أبى سفيان الذى كان محبا للمسامرة وأحاديث من مضى . ويسمى هذا الكتاب « التظافر والتناصر » . ويروى كتاب « التحفة البهية والطرفة الشهية[1] » المجلس الثامن عشر منه ، فيقول : «ذكر فى كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس دغفل النسابة البكرى عند معاوية ، وأنه سأله فى الثامن عشر من مجالسه ، فقال : « من أبلغ العرب فى ثنائه ؟ » فقال دغفل : « ذاك النابغة الذبيانى حين دخل على الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، يطلب إليه فى أسارى قومه ، فقال : « ألا انعم صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، وولدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء وزراؤك ، والعلماء جلساؤك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحياء بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ... ».

---

(١) ص ٣٨ .

ونحن إذا صدقنا هذا القول ولم نذهب مع ابن النديم الذى ينص على أنه لم يصنف شيئاً [١] ، لا نستطيع أن نأخذ هذا المجلس حقيقة لا شك فيها . فإننا نرى الكلام ملازما للسجع ، وفيه أشياء منافية لذلك العصر ، ولم نعتد العثور عليها فيه . كما نرى فيه نزعة إسلامية تسير مع قول القائلين بالتبشير بمحمد قبل ظهوره . ونحن إذا لم نشك فى هذا التكهن ، فإننا نشك فى تكهن النابغة بإسلام الحارث . وإنه لم يسلم فعلا ، وما أظن أنه كان يعد الإسلام فخراً له ، فى عصره ذلك . ولكن هذا المجلس على كل حال ، يبين لنا أن كتاب « التظافر والتناصر » ، إن كان وجد على الإطلاق ، كان يعالج التاريخ الأدبى ، ويبين مقدار عنايتهم بالسمر ، وأثر هذا السمر فى تجويد العبارة وتحسينها .

ابن عباس

أما ابن عباس فقد نسب إليه بعض الرواة [٢] مدونات استقى منها من بعده من المؤرخين . ولا يذكرون أن ابن عباس جعل من هذه المدونات كتابا خاصاً أعطاه اسما معينا . وهى فى غالب الظن بعض مجالسه التى كان يفسر فيها القرآن ، ويتعرض لمختلف المعارف العربية ، دونها أحد تلاميذه أو أبنائه . ونحن لا نستطيع أن نتكلم عنها أكثر من ذلك ، لأن ابن عباس من الذين حُمِل عليهم كثير من الأخبار فى كل فن .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٦ .

عبيد بن شرية

أنتجت لنا مجالس معاوية الكتاب الرابع أيضاً ، إذ أشار عمرو بن العاص على معاوية باستدعاء عبيد، وسؤاله عن الأخبار المتقدمة، لما رآه فيه من حب المسامرة والأخبار السالفة. فأحضره واتخذه سميرا له، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبتها إليه. فدونت تحت عنوان « كتاب الملوك وأخبار الماضين »، كما يقول صاحب الفهرست (١). وقد طبع الجزء الذى وجد من الكتاب فى حيدرأباد باسم « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . ولا يزعجنا هذا الاختلاف كثيراً ، لأن عبيداً نفسه لم يدونه ، ولا عنونه كتاب معاوية ، بل نسبوه إليه دون عنونة ، كما يبدو . ومن ثم اختلف النساخ المختلفون فى عنوانه . ولا يبعد أن يكون لهذا الاختلاف أسباب أخرى غابت عنا . ويؤكد لنا العنوان نفسه أنه من وضع أناس غير عبيد ، إذ تقول النسخة المطبوعة : « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال ، والحمد لله على كل حال» . فتصريحه باسم عبيد ، وقوله « على الوفاء والكمال » ، يشعران بأن هذه العبارة كلها من كتابة شخص آخر غير المؤلف .

وحين نقلب صفحة العنوان نرى الكتاب يبدأ بالبسملة والحمد ، ثم سند روايته: « حدثنا عبيد بن شرية الجرهمى ، عن البَرْقى يرفع الحديث أن معاوية... ». و إذن فالكتاب من رواية البرقى ، وهو تلميذ لابن هشام . و إذن فالمستركرنكو J. Krenkow له دعامته التى يتكئ عليها، حين يستنتج من ذلك أن جامع الكتاب

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

هو ابن هشام ، وأن القائل «عن البرقى» أحد تلامذته . ولسنا نستبعد ذلك ، ولكن نحب أن نتصفح الكتاب قبل الإدلاء برأينا .

يقدم الكاتب بين يدى الكتاب مقدمة ، يشرح فيها ولاية معاوية وخلافته وحبه للسمر ، وإشارة عمرو باستدعاء عبيد ، وكبر سنه ، وعلمه ، وسمره ، وسيطرته على قلب معاوية ، وأمر الأخير بتدوين أقواله .

ويتناول عبيد فى هذا الكتاب تاريخ موطنه اليمن ، بادئا باجتماع البشر فى بابل ، ثم تفرقهم شيعاً ، وخروج بعض بنى سام إلى اليمن . ثم يأخذ فى سرد تاريخ هؤلاء اليمنيين ، معتنيا بمن أرسل إليهم من أنبياء ، وإن كان همه كله موجها لملوكهم وغزواتهم فى بطون الأرض .

وينتهى الجزء الذى وصل إلينا بمقتل طسم وما قيل فيها من شعر . ويصرح الناسخ بأن الكتاب قد تم ، ولكنه يعنى أنه كتب النسخة التى أمامه كلها فحسب ، إذ الكتاب لم يتم ، ولم تكمل أخبار عبيد ، ولم تكمل أخبار طسم نفسها . ولعل مما يؤيدنا فى ذلك ، أننا كنا ننتظر من كتبة معاوية إشارة إلى ما حدث لعبيد فى نهاية مجالس سمره .

وأول ما يلاحظ على الكتاب أنه ليس كتابا تاريخيا بالمعنى المصطلح عليه ، وإنما هو مجالس سمر تاريخية مدونة . ولذلك يغلب عليه ما يغلب على تلك المجالس من خصائص . فنرى الأسلوب الحوارى يشيع فيه [1] :

«قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟

قال عبيد : سريانى أوله وآخره ، وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس .

قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟

---

(١) ٣١٦ .

قال عبيد : هى سرة الأرض فى فضلها ، وأراد الله ذلك بها » .

ولكن الأمر الجميل الذى نحسبه لمعاوية أو لكاتبه ، أنه كان لا يتدخل بالأسئلة فى بعض الفصول ، ولذلك نراها تجرى دون أية مقاطعة ، أو بمقاطعة لا تكاد تذكر . ومما يتصل بهذا ويحسب للكاتب ، أنه لم يفصل بين المجالس المختلفة ، فاكتسب الكتاب ميزة حسنة ، وهى الاتساق وعدم التقطع ، كما نرى فى مجالس قصص ألف ليلة وليلة مثلا . ولكننا خسرنا ميزة أخرى ، هى عدم معرفتنا القدر الذى كان يقصه عبيد على معاوية ، والمدة التى قضاها الاثنان فى سمرهما . ومما يتصل بهذا أيضاً ، أننا لا نرى أحدا من جلساء معاوية يظهر فى الكتاب ، سائلا أو مجيبا إلا مرتين فى صدر الكتاب [١] .

ونحن نذكر — ولا شك — تلك المجالس الأدبية التى كانت تعقد فى بلاط الأمويين ، وخاصة بلاط معاوية وعبد الملك ، وكانت من الأسباب التى طورت الأدب والنقد الأدبى . ونذكر أيضا عناية هذه المجالس بالشعر ؛ إذا كنا نذكر ذلك ، فإننا لن ندهش حين نرى عبيدا يُعْنى عناية شديدة بالشعر . ونرى معاوية — على الرغم من هذه العناية الشديدة — يلتمس منه الأشعار ، فيقول [٢] : « وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » ، ويقول [٣] : « فحدثنى عن لقمان ابن عاد صاحب النسور ... وما قيل فى ذلك من الشعر » ، ويقول بعد أن يسرد عبيد بعض الأخبار [٤] : « فهل قيل فى ذلك شعر ؟ » . وكان معاوية يطلب منه الشعر للمسامرة ، ولسبب آخر غيرها ، إذ كان يعتبر الشعر الدليل على صدق الخبر ، يقول [٥] : « وأبيك ، لقد أتيت وذكرت عجبا من حديثك عن عاد ، وقد علمت

---

(١) ٣١٣ ، ٣١٤ . (٢) ٣١٤ . (٣) ٣٥٦ .
(٤) ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٣ ، وغيرها . (٥) ٣٥٢ .

أن الشعر ديوان العرب ، والدليل على أحاديثها وأفعالها ، والحاكم بينهم فى الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن من الشعر لحكما » . ويقول [١] : « سألتك ألا شددت حديثك ببعض ماقالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات » . وكثيرا ما كان يقول لعبيد بعد أن يذكر ما طلب من الشعر [٢] : « لقد جئت بالبرهان فى حديثك » .

والشعر الذى جاء به عبيد يمكن تقسيمه إلى أقسام ثلاثة : قسم ضعيف سخيف ركيك ، ليس من الشعر الحق فى شىء ، وهو موضوع على من نسب إليهم ، وهو الغالب على الكتاب . ومن أمثلته ماينسب لطسم بن لاوذ بن إرم ، حين انتقل من بابل إلى بلاد العرب [٣] :

إنى أنا طَسْم شبيه سام ... ووالدى لاوِذُ بن رام
لما رأيتُ من بنى أعْمَامى ... وإخْوَتى الرحيل باعتزام
قد اقْتَدُوا بيَعْرُبَ الهمام ... كرهت بعد إخوتى مُقَامِى

وقسم آخر أجود من السابق ، ولكنه من الموضوعات أيضا ، ومن أمثلته ماينسب لتبع [٤] :

سيذكر قومى بعد مَوْتى وقَائِعى ... وما فعلت قومى بقَيْسٍ أفاعلا
فكم من ملوكٍ قد قتَلْنا رجالهم ... وكم من نساء قد تركنا ثواكلا
وكم من أسِيرٍ ظل فى القَيْدِ ساقه ... يَبِيتُ يُرَاعِى غُلَّه والسَّلاسلا
سيذكر قومى نَجْدَتى ومكارمى ... ويَدْخُل باب العز من كان جاهلا

---

(١) ٣١٨ . (٢) ٣٣٠ ، ٣٤٩ ، ٤٠٠ ، وغيرها . (٣) ٣١٩ .
(٤) ٤٤٠ .

بنيت لهم مجدا مع النجم سَمْكه وصيَّرْتُهُ للعالمين معاقلا

أما القسم الثالث فأشعار تنسب إلى شعراء معروفين ، مثل العباس بن مرداس ، وأعشى بنى وائل ، وحسان بن ثابت ، وأمية بن أبى الصلت ، وامرئ القيس ، وعبيد بن الأبرص . والنابغة الذبيانى [١] . وقد وجدت أكثر هذه الأشعار فى دواوين أصحابها ، وإن كانت قد تختلف فى بعض الألفاظ أو العبارات .

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل فى عداد حسنات عبيد ، إذ نراه يُعْنى فى بعض الأحيان بإيراد جملة من الأشعار بعد سرده الأخبار التى يعالجها ، كما فعل بعد تناوله أخبار عاد وثمود . وكان عبيد يشعر بأن هذا هو المنهج الأكمل . قال له معاوية ذات مرة [٢] : «أقيل فى ذلك شعر ؟» فى أثناء كلامه ، فقال : « نعم يامعاوية ، قد قالت العرب فى ذلك أشعارا ، فإن أحببت أنشدتكها ، وإن شئت فى آخر الحديث ، فإنه أصلح لحديثك» . فقال معاوية : «سمعنيها فى آخر الحديث فهو أحسن » .

ومن أجل الشعر أيضا عنى عبيد ببعض القطع النثرية وجودها وهذبها ، حتى لتلفت النظر من بين باقى الأخبار . وصارت شبيهة بما يسمى فى الأدب الغربى «القطع الأرجوانية» ، يعنون بذلك الفقرات التى تلقى العناية التامة ، على حين يهمل ماحولها من كلام . وتظهر هذه الفقرات أوضح ظهورها فى بعض الأحاديث ، التى ينسبها عبيد لأبطال تاريخه ، وفى بعض أوصافه للأجناس . فها هى ذى جارية من عاد تقول حين رأت ريح العقوبة [٣] : «الويل لعاد ، التى طغت فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد . أرى رياحا كأمثال الجبال ، لها لُجُم بأيدى رجال ، كأن

---

(١) ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ .

(٢) ٣٣٥ .

(٣) ٣٣٧ .

فى وجوههم شهب النار ». وهذان رجل وامرأته يتخاصمان أمام عملیق فى ابنهما ، فتقول[١] : «إنى امرأة حملته تسعا ، وأرضعته سبعا ، ولم أر منه نفسا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوى وصاله ، أراد أن يأخذه كرها ، ويتركنى ورها » . فيقول زوجها : « أخذت المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليدا جاهلا ، فافعل ما كنت فاعلا » .

والكاتب فى هذه الفقرات لا يعرف من التجويد والزخرف غير السجع ، بل إنه لسجع ضعيف غير جميل فى الغالب . ولا أدرى أذلك من التحريف الذى أصاب الكتاب أم من الكاتب نفسه . أما الأسلوب الغالب على الكتاب فبسيط عادى صريح ، عاطل عن كل الحلى .

وظهرت فى الكتاب خاصة أخرى تظهر فى المسامرات ، تلك هى الاستطراد. فكثيرا ما يذكر عبيد عرضا فى أثناء حديثه بعض الأشياء أو الأشخاص ، فيسأله معاوية عنهم ، فيضطر إلى الخروج إليهم ، ثم يرجع إلى السياق الأصلى . وكان معاوية يشير عليه أحيانا بالرجوع إلى السياق قائلا : « خذ فى حديثك[٢] » أو « خذ فى حديثك الأول »[٣] أو « دع هذا وخذ فى حديثك الأول[٤] » . وكان معاوية يستعجل أحيانا بعض الحوادث ، فيشير عليه عبيد بالتمهل[٥] .

وكانت مجالس معاوية هذه استمراراً لمجالس السمر الجاهلية ، ولذلك نرى موضوعات عبيد تغلب عليها الصيغة التى كانت تغلب على تلك المجالس . فغلب على أخباره الخيال البدائى المبالغ ، بل المغرق فى المبالغة ، وخرجت أخباره قصصاً وخرافات وأساطير ، عن ملوك اليمن ، لا تختلف فى شىء عما كان فى الجاهلية ،

---

(١) ٤٨٣ . (٢) ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، وغيرها. (٣) ٤٠٨ .
(٤) ٤٥١ . (٥) ٤١٣ .

فى غالب الظن . بل يمكننا أن نعتبر كتابه تدويناً للقصص التاريخية التى كانت شائعة فى الجاهلية ، وخاصة فى جنوب بلاد العرب . وهى قصص تاريخية ، لا أخبار تاريخية ، فلا نستطيع أن نخرج منها بأخبار تاريخية علمية ، وإنما نظفر بأدب شعبى خيالى . ومما يكمل صورتها ، ويقرب بينها وبين الجاهلية ، تلك الأنساب التى تشيع فيها ، حتى قلما يظهر شخص ، دون أن تورد سلسلة نسبه ، حقاً كانت أو باطلة . وإذن نحن لا نبعد كثيراً عن الصواب ، إذا عددنا كتاب عبيد مدونة تحوى الأخبار التاريخية ، معالجة كما كان يعالجها الجاهليون ، ولا نختلف عنهم إلا فى اعتمادها على القرآن فى قصص الأنبياء والشعوب التى تعرض لها القرآن . ولعل عبيدا كان يضيق بالأخبار التى تناولها القرآن ، لأنه لا يستطيع أن يتصرف فيها ، أو يترك لخياله الحرية فى تناولها ، أو يرويها كما وصلته عن الجاهليين ، حتى ليقول لمعاوية حين سأله عن بلقيس والهدهد[١] : « قول الله أصدق ، وقد أعلمتك لست بمُحَدِّث بشىء ليس فى القرآن ، ولست بواصف خبرا بلغنى بعد ما قال الله تبارك وتعالى » . واعتمد عبيد فى القصص القرآنية على ابن عباس كثيراً ، فكان يقول لمعاوية : « سمعت ابن عمك[٢] »، قاصداً عبد الله ، وكان يصرح باسمه أحيانا[٣] .

وكتاب عبيد ذو أهمية كبيرة ، لا فى تطور حركة التأليف التاريخى فحسب ، وإنما لأنه يكشف لنا النقاب عن الثقافات التى كان يعرفها العرب فى الصدر الأول من الإسلام ، وربما التى كان يعرفها العرب فى الجاهلية ، وخاصة فى اليمن ، وأوضح ما نجده الثقافة الإسرائيلية التى تظهر بارزة فى الكتاب كله . يظهر هذا فى الأخبار

---

(١) ٤٢٤ . (٢) ٣٢٧ .

(٣) ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٥ ، ٤١٥ ، وغيرها .

والأشخاص والأنساب والأسماء وغيرها ، بل نراه أحياناً يذكر اسم أحد الأشخاص ، ثم يورد اسمه فى العبرية ، فأبو إبراهيم آزر واسمه تارخ [١] ، وعابر هو هود [٢] .

هذا هو كتاب « أخبار عبيد بن شرية » ، ملحمة من أجمل الملاحم العربية النثرية التى تتناول تاريخ العرب الجنوبيين ، يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، ويحليها الشعر والقطع النثرية الأرجوانية ، والقصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائيليين ؛ ملحمة تشبه الملاحم التى ستظهر فى العصور الإسلامية المتأخرة ، من أمثال ملاحم عنترة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة ، ولكنها تمتاز عنها بسمو أسلوبها ، وفصاحته العربية . ولعلنا لا نشتط كثيراً حين نقارنها بشاهنامة الفردوسى الشعرية ، التى تتناول تاريخ الفرس منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى . ويؤسفنا كل الأسف ضياع الجزء الأخير منها .

وفى ختام الكلام عن أخبار عبيد نذكر أمراً كبير الأهمية ، ذلك هو دخول بعض العناصر الغريبة فيه . فهذا خبر يصدر بالإسناد التالى [٣] : « وذكر بعض أصحاب السير عن عَبيد بن شرية بأمر هود[؟] ، قال أخبرنى البخترى عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى عن أبى الطفيل عامر ابن واثلة الكنانى عن على بن أبى طالب صلوات الله عليه ... » . وليس هذا بإسناد الكتاب ، والخبر ليس منه ، حتى ليقال بعده : « رجع الحديث إلى عبيد ابن شرية ومعاوية » . ويعلق الناشر على هذا الخبر قائلا : « لعل هذه العبارة كانت حاشية ، فأدمجها بعض النساخ فى الأصل ، ومع ذلك فهذا عبيد بن شرية ليس له دخل فى هذه القصة » . ولكنه ليس خبراً واحداً ، وإنما هى أخبار كثيرة من رواية محمد بن إسحاق وغيره ، مثل وهب بن منبه [٤] . ونحن لا نرى أن هذه

---

(١) ٣١٥ .
(٢) ٣١٣ ، ٣١٥ .
(٣) ٣٥٠ .
(٤) ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ .

الأخبار حواش ، وأدخلها النساخ فى الكتاب ، فإننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن الخبر الآتى[١] : « ذكر عبيد أن شمر يرعش بنى نصبا فى السغد وكتب عليه « من بلغ هذا المكان فهو مثلى ، ومن جاوزه فهو أفضل منى » ، ثم قال عبيد : « وأنا أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض ، فيعلم أنى قد أديت إليه من حديثى علماً » . قال معاوية : « اللهم أرنا تصديق قول ابن شرية ، فإنه يذكر عجباً ، وإن شاء ربى فعل ذلك » . فبلغنى عن الشعبى أنه ذكر عن رجل من خيوان همدان يقال له عبد الله ، قال : « بينما نحن بالسُغد مع قتيبة بن مسلم الباهلى ، وافتتح سمرقند ، إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه خطوط كأنها بالعربية وليست بها ... فقرأه على مثل ما ذكره عبيد لمعاوية ، ورواه عنه من رواه » . فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، ولا ندرى منه من الذى يرويه عن الشَّعْبى . ولكننا نجد الخبر نفسه فى كتاب التيجان لوهب بن منبه مروياً عن ابن هشام[٢] : « قال أبو محمد [بن هشام] حدثنى عامر بن جرهم الأنصارى ، عن مكحول ، عن الشعبى ، قال : « حدثنى رجل من خيوان همدان... الخ » . إذن فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، بل حدث بعد موته ، وهو من صلب الكتاب ، ولا يظهر عليه أنه مقحم فى هذا الموضوع . وكذلك نرى بعض الأسماء والأنساب والأشعار تختلف رواياتها باختلاف المواضع ، حتى أكثر الناشر من الإشارة إلى ذلك[٣] ، مما يجعلنا نظن أن هذه الاختلافات ترجع إلى رواة مختلفين ، لا عبيد وحده .

---

(١) ٤٢٩ . (٢) وهب بن منبه : التيجان ٢٣٧ .

(٣) ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، وغيرها .

وهناك أخبار أخرى منسوبة لعبيد ، ولكننا لا نستطيع أن نصدق أنه يتفوه بها أمام معاوية . يقول [١] : « و بلغنى أن أولاد بر بر بن كنعان بن كوش بن حام الذين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة ، وهو صاحب الجمل فى آخر الزمان ، وأصحابه يقال لهم: الغرباء » . قال له معاوية : « قلت الصواب إن شاء الله ، وإن كلامك طيب وشفاء لما فى الصدور » . ولا شك أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن عبيد أمام معاوية . أما تعليق معاوية على كلامه فلا يحتاج إلى إنكار من أحد ، فإنه أوهى مما يحتاج إلى الإنكار .

و ينسب إلى عبيد أيضا أنه قال [٢] : « وقد ذكرناها فى كتابنا هذا » . وهذه العبارة كبيرة الأهمية ، لأنها تدل على أن القائل كان يتصور هذه الأخبار كتاباً لا مجالس سمر ، مما قد نستنتج منه أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية ، و إنما مؤلف على نهج المجالس . لو أضفنا كل هذا إلى ما لاحظناه على العنوان والمقدمة ، لخرجنا بأن الكتاب من جمع ابن هشام ، وأنه عمل فيه ما عمل فى سيرة ابن إسحاق ، أو أنه دخلته عناصر غريبة كثيرة ، بعضها مصرح بنسبتها ، و بعضها غير مصرح .

ولكن الأستاذ كرنكو يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيصرح بأن عَبيد بن شرية شخص خيالى لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقى أو محمد بن إسحاق ، مكملا به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار . و يستدل على ذلك بتلك الأخبار التى سميناها غريبة عن الكتاب ، و بغيرها من الأدلة ، ومنها عدم ورود ذكر لعبيد فى كتب الرجال . ونحن لا نستطيع أن نذهب

---

(١) ٣٢٣ . (٢) ٣٦٧ .

معه إلى هذا الحد ، كما لا نستطيع أن نرفض رأيه يقيناً . فعدم ورود اسم عبيد فى كتب المحدثين دليل على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده . ولعل هذا الرأى غريب لأنه كان من المنتظر من رجل مثل عبيد ، عنى بالتاريخ الجاهلى ، أن يعنى كذلك بالتاريخ الإسلامى ، فيؤدى ذلك بالمحدثين إلى الكلام عنه ، ولو فى باب الضعفاء من المحدثين. كما أننا لو قلبنا صفحات كتاب المُعَمَّرين (١) نجد القصة التى يروون أنها جرت بينه وبين معاوية ، تروى بأشكال مختلفة ، ولكن متقاربة ، على أنها حدثت لأفراد آخرين غيره من المعمرين . فهذه الدلائل تغرينا على السير إلى جانب الأستاذ كرنكو . ولكن الأمر اليقينى الذى لا يخامرنا فيه شك ، أن الكتاب ، بهذه الصورة الراهنة ، ليس من تأليف عبيد ابن شرية .

وهذه فقرة من الكتاب تبين لنا أسلوب عبيد ، قال : (٢)

« قال معاوية : فمن ملك بعده [بعد ذى القرنين] ؟

قال : « ملك بعده ملكى كرب بن أسعد بن تبع الأكبر بعد أبيه . وكان رجلا ضعيفا ، لم يكن يغزو أحدا حتى مات ولم يبعث جيشا . فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء . وأما أهل الرأى والمعرفة والبصر بالأمور ، فإنهم يقولون لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الأنفة وصغر الهمة ، لأنه لم يحدث دعوة فى ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد ممن قبله .

قال معاوية : «وما تعبير حال الملك ؟ »

قال عبيد : «يا أمير المؤمنين ، لم يكن يغير من شىء يفعله آباؤه . ولا أزال

---

(١) أبو حاتم السجستانى : كتاب المعمرين ٧ . ٦٧ ، ٨٣، ٨٧.

(٢) ٤٣٩ .

شيئا من جبروت الملك ، ولا أحدث تواضعا ولا قربا من الناس ، ولا زال عن تجبره وعتوه ، وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها ، بلد عرب أو عجم » .

قال معاوية : « فكيف ملكهم يا عبيد ، وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ »

قال عبيد : « لأنهم أحبوا الدعة والسكون ، وكانوا قد ملوا الغزو والحروب ، وكثرة المسير فى البلدان » .

قال معاوية : « فكم ملكهم على هذا الحال؟ »

قال : « ملكهم خمسا وثمانين سنة » .

قال معاوية : « فمن ملك بعده ؟ »

قال عبيد : « ملك ابنه تبع أسعد بن ملكيكرب » .

هذه هى الكتب التى ترجح بينها الرأى فى اختيار الأول فى الظهور . ثم ظهرت كتب السير والمغازى التى تتناول حياة الرسول بالدرس . وقد رأينا أن من عوامل ظهور هذه الدراسة جمع الأحاديث ، سواء ما تناول الناحية الفقهية ، وما تناول الناحية التاريخية من حياته ، بدافع من الرغبة الدينية . وكذلك كان العرب ينظرون إلى النبى نظرتهم إلى بطل من الأبطال وحدّهم وهيأهم لفتح الأمم ، فعنوا بتاريخه كما عنوا بتاريخ أبطالهم فى الجاهلية . ولا ننسى مع ذلك أنهم أرادوا أن يضعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء موسى وعيسى اللذين فخر بهما أهل الكتاب وألفوا عنهما الكتب ، وأحاطوهما بالقصص الصحيحة وغير الصحيحة . كل أولئك وغيره اجتمع فأثمر كتب المغازى والسير ، التى تعتبر بداية التأليف العلمى فى التاريخ لأنها كانت تستند إلى الأحاديث التى كان يراعى فيها الدقة إلى أبعد غاية ، فأسبغت الأحاديث دقتها على التاريخ . ولذلك نشعر للوهلة الأولى بأنا نستند إلى أساس علمى وثيق ، حتى لو سلمنا فى نفس الوقت بشىء من الشك فى الأحاديث التى تناولت

العهد المكى خاصة من حياة الرسول . وقد ترك هذا الارتباط بالأحاديث أثراً لا يمحى فى أسلوب التأليف التاريخى ، إذ كثرت مواطن التشابه بين النوعين . وكانت المدينة موطن هذه الدراسة ، فلم يختص أحد بالتأليف فى المغازى والسير قبل القرن الثانى من الهجرة خارجها .

أبان بن عثمان

أول من اشتهر بالتأليف فى المغازى أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ أو قبله . وكان أبان من علماء الحديث والفقه أيضاً . يقول ابن سعد فى أثناء حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن [١] : « وكان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها » . وكان المغيرة هذا فى جيش مسلمة بن عبد الملك الذى توجه لحرب الروم عام ٩٦ هـ ، واسترجعه عمر بن عبد العزيز فى عام ٩٩هـ[٢] . ولذلك لا يمكن المغيرة أن يأخذ المغازى إلا عن أبان بن الخليفة عثمان ، وليس عن أبان بن عثمان البجلى الشيبى ، الذى عاش بعد ذلك التاريخ بجيل أو اثنين[٣] .

ويبدو أن هذه المغازى التى رواها المغيرة عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق ، وإنما هى مجموعة من المواد المتعلقة بحياة النبى . ويظهر أن هذه الأخبار ضاعت ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٥٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ١٣٠٥ ، ١٣٤٦ .

(٣) هو روفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ، ص ٥ .

ولم يأخذ عنها أحد من كتاب السير المتأخرين . فلم يأخذ عنه ابن إسحاق ولا ابن سعد (الجزء المخصص للسيرة من طبقاته) . أما خبر أمر العباس و بعض بنى هاشم الذى يرويه ابن سعد [١] عن أبان ، عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد (المتوفى عام ١٤٨ هـ) فإنه يتضح من الإسناد أنه لا يقصد أباننا هذا ، و إنما يقصد أبانا البجلى الشيمى .

ولكن ابن سعد يذكر أبان بن الخليفة عثمان خارج السيرة ، حين يورد الكلمات الأخيرة التى تفوه بها عمر بن الخطاب عند وفاته ، وقد سمعها أبان من والده [٢] . ويذكره ابن قتيبة أيضا فى الشعر والشعراء [٣] ، على أنه راوى الخبر القائل بأن معاوية اشترى البردة ، التى أعطاها النبى لكعب بن زهير ، مكافأة له عن قصيدته :

بانت سعاد ...

وأن الحكام كانوا يلبسونها فى الأعياد . وفيما عدا ذلك لا يوجد لأبان ذكر فى كتب التاريخ ، و إن كانت كتب الحديث تكثر من ذكره .

عروة بن الزبير

عروة بن الزبير المتوفى عام ٩٤ هـ من معاصرى أبان ، الذين ألفوا فى التاريخ ، ولم يقتصر عروة على الروايات الشفوية ، بل دون بعض الأحداث التى طلبها منه عبد الملك بن مروان ، أو ابن أبى هُنَيدة ، الذى كان فى بلاط الوليد ، فى رسائل بعثها إليهما . وقد وصل إلينا بعض هذه الرسائل فى صفحات ابن إسحاق ، والواقدى ، والطبرى .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٤ : ٢٩ . (٢) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٦٢ .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٠٦ .

تتناول رسالة عروة الأولى إلى عبد الملك هجرة الحبشة [١]. وتتناول الثانية موقعة بدر [٢]، والثالثة تتناول فتح مكة [٣]. وتناول عروة أيضاً وفاة خديجة، وهجرة النبي والصحابة إلى المدينة، وخبر زواج النبي من أخت الأشعث بن قيس. وقد روى هذه الأخبار عنه ابنه هشام. أما رسالته لابن أبي هنيدة فرواها الزهري، وتتناول المناسبة التاريخية للآية العاشرة من السورة الستين [٤].

وتمثل كتابات عروة المشار إليها أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن بعض الحوادث الخاصة في حياة النبي، كما تمثل أقدم آثار الكتابة التاريخية العربية. ولا تذكر المراجع القديمة أي كتاب ألفه عروة عن المغازي، ولكن حاجي خليفة يقول إنه أول من صنف في المغازي [٥]. ولم يعن عروة بجمع الأخبار عن جميع فترات حياة النبي فحسب، بل عنى أيضاً بحوادث الخلفاء الأولين أيضاً، فنراه يعالج وقعتي القادسية واليرموك وبعض حوادث فتوح الشام [٦]. ويعنى عروة أيضاً بتاريخ الزبيريين، ولذلك نرى أكثر أخبار الحزب الزبيري وحروبه وفتنه مروية عنه في الكتب التاريخية مثل الطبري وحلية الأولياء أو الكتب الأدبية مثل الأغاني [٧].

وتمتاز كتابات عروة بأنها لا تهمل الإسناد إهمالا تاما، كما أنها لا تعنى به عناية متشددة. فهو أحيانا لا يذكره وأحيانا يذكره [٨]. ولذلك يكون من الخطأ

---

(١) نفس المرجع ١ : ١١٨٠. (٢) نفس المرجع ١٢٨٤.
(٣) الطبري : تاريخ ١ : ١٦٣٤. (٤) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٤٠ والطبري : التفسير ٨ : ٤٢. (٥) كشف الظنون ٥ : ٦٤٦.
(٦) الطبري : تاريخ ١ : ١١٨٥، ١١٩٩، ١٢٤٢ وغيرها.
(٧) انظر فهرست الطبري والأغاني والفصل المخصص لعبد الله بن الزبير في الحلية.
(٨) الطبري: تاريخ ١ : ١١٤٠، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٥٤، ١١٦٧ وغيرها.

أن تتهم عروة بتهمة إغفال الأسانيد ، و إنما نقول إن الإسناد أصبح عادة فى ذلك الوقت ، ولكنه لم يصبح بعد ضربة لازب على كل مؤلف فى التاريخ . وتمتاز كتاباته أيضاً بأنها تعنى بالإشارات القرآنية إلى الحوادث الإسلامية . فتحلول شرحها ، كما أشرنا قبل . بل إنه يتجاوز ذلك إلى استعمال الألفاظ القرآنية فى كتاباته ، لتشير إلى مدلولها القرآنى ، مثل استعماله لكلمة «الفتنة» فى حديثه عن الهجرتين الحبشية والمدنية ، متبعا الآية الأربعين من السورة الثامنة . ولا يعنى عروة بالأحاديث وحدها ، و إنما يعنى أيضاً بالوثائق المكتوبة ، مثل رسالة النبى إلى أهل هجر ، و إلى درعة بن ذى يزن ، و إلى عبد الله بن جحش[1] . وعلى الرغم من فقه عروة ودينه لم يكن خصما للشعر ، بل ينثره فى الحوادث ، على لسان المشتركين فيها ، مثله فى ذلك مثل النموذج المعروف من التاريخ الجاهلى . ولكن يبدو أن هذا الدين كان له أثره فى ناحية أخرى ، تلك هى خوفه من إبداء رأيه فى الحوادث ، و إنما يتبع المأثور والحديث ، كما يقول ابنه هشام[2] . ولعل ذلك هو الذى جعله يروى فى تاريخه بعض الأخبار التى لا نستطيع تصديقها بسهولة ، ورب ما كانت هذه الأخبار من أثر أجنبى ، يهودى أو حبشى أو نصرانى .

وهذه إحدى رسائل عروة التى أرسلها إلى عبد الملك بن مروان[3] :

« ثنا أبان العطار قال ، ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك .

« أما بعد ،

« فإنك كتبت إلى فى أبى سفيان ومخرجه ، تسألنى كيف كان شأنه ؟ كان

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٦٩ ، ٧٩ . والطبرى : تاريخ ١ : ١٢٧٣ .
(٢) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٣ . (٣) الطبرى : تاريخ ١ : ١٢٨٤ .

من شأنه أن أباسفيان بن حرب أقبل من الشام فى قريب من سبعين راكبا من قبائل قريش كلها ، كانوا تجارا بالشام، فأقبلوا جميعا معهم أموالهم وتجارتهم. فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمى فى ناس بنخلة، وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بنى المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بنى عدى بن كعب فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثهم مع عبد الله بن جحش . وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش ، وأول ماأصابه بعضهم بعضا من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بمعهم من الأموال ، و بقلة عددهم . فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم . وهى التى أنزل الله عز وجل فيها «وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» فلما سمع أبوسفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليهم وسلم معترضون له ، بعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم، فأجيروا تجارتكم. فلما أتى قريشا الخبر، وفى عير أبى سفيان من بطون كعب بن لؤى كلها ، نفرلها أهل مكة . وهى نفرة بنى كعب بن لؤى ، ليس فيها من بنى عامر أحد إلا ما كان من بنى مالك بن حسل . ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، حتى قدم النبى صلى الله عليهم وسلم بدرا. وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام ، فخفض أبو سفيان عن بدر، ولزم طريق

الساحل ، وخاف الرصد على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريبا من بدر . وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا يحسبون أن قريشا خرجت لهم . فبينا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبنى الحجاج أسود . فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش . فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى معرسه . فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ، لا يحسبون إلا أنه معهم . وطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ويصدقهم الخبر ، وهم أكره شىء إليهم الخبر الذى يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلى ، يركع ويسجد ويسمع ما يصنع بالعبد . فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ، فجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب ، وسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ، وليس له بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : « نعم هذا أبو سفيان » والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل « إذ أنتم بالعُدْوَة الدُّنيا وهم بالعُدْوَة القُصْوى والرَّكْبُ أسفل منكم » حتى بلغ « أمرا كان مفعولا » . فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أنتكم ، ضربوه . وإذا قال لهم ، هذا أبو سفيان : اتركوه . فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليهم وسلم انصرف من صلاته ، وقد سمع الذى أخبرهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب . قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشا قد جاءت . قال : فإنه قد صدق ، قد خرجت قريش تجير ركابها . فدعا الغلام فسأله ، فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لى بأبى سفيان

فسأله « كم القوم » ؟ فقال : « لا أدرى والله ، هم كثير عددهم » . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطعمهم أول من أمس » ؟ فسمى رجلا أطعمهم فقال : « كم جزائر نحر لهم » ؟ قال : « تسع جزائر » . قال : « فمن أطعمهم أمس » . فسمى رجلا . فقال : « كم نحر لهم » . قال : « عشر جزائر » فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة . فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء ، وملأ الحياض ، وصف عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، قال : هذه مصارعكم . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم إني أسألك ما وعدتني . فلما أقبلوا استقبلهم فحثا في وجوههم التراب فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان ، والركب الذين معه : أن ارجعوا ، يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرا ، فنقيم به ثلاث ليال ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز . فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل « الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس » فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » .

وإذا أحببنا أن نعرف طريقة عروة في التأليف من هذه الرسالة ، نجده يعنى في سرده الغزوة بالمقدمات التي سبقتها وأدت إلى وقوعها ، ويعنى في أثناء السرد بإقامة الأدلة على صحة ما يقول من الآيات القرآنية ، ونجده يشير إلى الأشياء التي لا يطمئن إليها ، أو يخاف أن يتحمل مسئوليتها بكلمة « زعموا » ، كما حدث في روايته عدد قريش والأقوال المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن يبدو أنه كانت تأخذه أحيانا حماسة السرد ، فينساق وراء الموضوع الرئيسي ،

ويترك بعض التفاصيل ، فيرجع إليها بعد ما ينتهى ، ويقول مثلا : « وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان . . »

هذا ما نستطيع أن نستخلصه من هذه الرسالة ، إلى جانب تذوقنا لأسلوبه البسيط ، الذى لا يخلو من فصاحة عربية غير متكلفة ، بل عاطفة صادقة يحسها القارئ فى ثنايا الوصف .

وهب بن منبه

أما وهب بن منبه المتوفى عام ١١٠ هـ فليس من المدينة ، ولكن من ذمار بجوار صنعاء عاصمة اليمن . ولا تذكره كتب السيرة القديمة على أنه أحد رواة السيرة ، ولكن حاجى خليفة [١] يقول عنه : إنه جمع المغازى . وقد تبين صدقه ، إذ اكتشف بيكر بين مجموعة أوراق بردى شُتْرَيْنْهَارْدْت ، المحفوظة فى هَيْدِلْبِرج مجلداً يحتوى على قطعة من هذه المغازى . وتتناول قطعة هيدلبرج تاريخ العقبة الكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والهجرة ، وغزوة بنى خيثمة ، مما يدلنا على أن وهباً تناول الفترة المكية والمدنية من حياة الرسول . ويقول بعض من رأى هذه القطعة إن وهباً يهمل فيها الإسناد ، ويعنى بالشعر [٢] .

وحفظت حلية الأولياء لوهب قطعتين من المغازى ، تتناول الأولى فتح مكة [٣] ، والثانية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم [٤] . وهو يذكر الإسناد فى القطعتين . وهذه

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون رقم ١٢٤٦٤ .
(٢) هوروفتس : كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ، ص ٣٤ .
(٣) الأصبهانى : الحلية ٤ : ٧٩ . (٤) نفس المرجع ٧٣ .

هى القطعة الثانية يقول فيها : « فلما كان يوم الأحد ثقل فى مرضه ، فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب ، فنادى : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة ، يرحمك الله » . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقالت فاطمة : «يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه» . فدخل بلال المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : « والله ، لا أقيمها أو أستأذن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فرجع وقام بالباب ونادى : « السلام عليك يارسول الله ورحمة الله ، الصلاة، يرحمك الله » . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقال : « ادخل يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه ، مر أبا بكر يصلى بالناس » . فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول : « وا غوثاه بالله ، وانقطاع رجائى ، وانقصام ظهرى . ليتنى لم تلدنى أمى ، وإذ ولدتنى ليتنى لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم » . ثم قال : « يا أبا بكر ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تصلى بالناس » . فتقدم أبو بكر رضى الله عنه للناس ، وكان رجلا رقيقاً ، فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتمالك أن خر مغشياً عليه ، وصاح المسلمون بالبكاء ... فلما كان فى يوم الإثنين اشتد به الوجع ، وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام ، أن اهبط إلى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة ، وارفق به فى قبض روحه . فهبط ملك الموت عليه السلام فوقف بالباب شبه أعرابى ، ثم قال : « السلام عليكم ، يا أهل بيت النبوة ... » .

وهذه الفقرة طويلة مفصلة ، ولكن قارئها لا يسعه إلا أن يشك فيها الشك الشديد ، فأسلوبها مما لا نألفه فى أساليب تلك الفترة ، وعباراتها غريبة عن الرجل العربى الذى يعيش فى ذلك العصر ، وقد لعب فيها الخيال دوراً كبيراً . ولذلك

إذا صحت نسبتها لوهب ، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظ مؤرخ ، وإنما يلائمه لفظ قصاص .

ويجب أن نذكر أن وهباً اتجه فى التاريخ وجهة جديدة لم تعن بها مدرسة المدينة قبله ، تلك هى عنايته بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ وطنه اليمن . فالأستاذ هوروفتس ينسب لوهب « كتاب المبتدأ » الذى عزاه ابن النديم لحفيده عبد المنعم [١] . ويرى أن العنوان يشير إلى مبتدأ الخلق . ولكننا لا نرى داعياً لهذا ، ونرى أنه ربما جمع عبد المنعم مواد كتابه مما فى كتب وهب الأخرى ، وخاصة كتابه فى تاريخ اليمن ، الذى عنى فيه بتاريخ الخليفة والأنبياء . ولم يعن وهب بالأنبياء وحدهم بل بالعُبّاد أيضاً [٢] . ولعل الكتاب الذى ينسبه إليه حاجى خليفة عن « الأخيار [٣] » هو نفس كتابه عن العباد .

ويعتمد وهب فى جميع هذه الكتب على أخبار أهل الكتاب ، يهود ومسيحيين ، اعتماداً شديداً . وقد اشتهر بذلك حتى قيل عنه إنه قرأ ٧٠ أو ٧٢ أو ٧٣ أو ٩٢ من كتبهم المقدسة [٤] . ولكننا لا نستطيع الاطمئنان إلى هذا القول ، وإنما نرجح أنه استقى هذه الأخبار من أهل الكتاب الذين اتصل بهم فى موطنه اليمن ، الذى اشتهر منذ الجاهلية باستيطان هاتين الديانتين وتصارعهما فيه . بل بلغ الأمر بهذه الشهرة إلى حد أن نسب إلى وهب كتاب يسمى

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ٧ من القسم الثانى ص ٩٧ .

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤ : ٥١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٩٥ . وكتاب التيجان ٢ .

« الإسرائيليات » ، كما يقول حاجى خليفة [١] . ولكن ياقوتا يقول عنه إنه كان « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات [٢] » ، أى يستعمل اللفظ وصفاً لمصادر وهب ، لا عنوانا لأحد كتبه . ولذلك يرجح أن كتاب الإسرائيليات هذا عبارة عن مجموعة الأخبار التى استقاها وهب من أهل الكتاب جمعها بعض المتأخرين ، وزاد عليها حتى صارت كتابا ، عرفه حاجى خليفة بذلك الاسم . وقد قام بتلك المحاولة ثانية شوفان [٣] ، ولكنها مخفقة ، لأن هذه الأخبار غير كافية لتكوين كتاب ، ولأنها دخلها كثير من الانتحال حتى عارض بعضها بعضاً ، وكثر فيها الخلط والتهويش . ولا يلام وهب كل اللوم على هذا الخطأ والتعارض ، لأن الأخبار الصحيحة عنه تطابق أخبار أهل الكتاب مطابقة كبيرة . وما شذ عن ذلك يرجع إلى تغيير نفس المصادر التى استقى منها وهب ، أو إلى تغيير منه لتلائم الذوق الشعبى ، أو هى من عمل المتأخرين الذين غيروا فيها لتلائم القصص الشعبى .

والأمر الثانى الذى يمتاز به وهب هو كتابة تاريخ وطنه اليمن الخرافى القديم ، فى رسالة خاصة تسمى « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ، كما يقول ياقوت [٤] . ولسوء الحظ لم يصل إلينا هذا الكتاب ، وإنما وصل إلينا كتاب يسمى « كتاب التيجان فى ملوك حمير » . وهو من رواية أبى محمد عبدالملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبى إدريس بن سنان عن جده

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ٥ : ٤٠ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٣٢ . (٣) النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة ٥٧ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٣٢ .

لأمه وهب بن منبه . ولكن كل من يتصفح الكتاب يستطيع أن يرى بسهولة أنه ليس كله لوهب ، وإنما تصرف فيه ابن هشام تصرفه فى سيرة ابن إسحاق ، وإن كان لا يصرح بذلك كما فعل فى السيرة . ولذلك لا نستطيع أن نعرف مدى تصرفه ، غير أننا يمكننا أن نعرف الإضافات التى جلبها من روايات أخرى ، وصرح بسندها . فهو يروى أخباراً عن محمد بن إسحاق عن طريق تلميذه البكائى الذى روى السيرة [١] ، أو عن طريق تلميذه الآخر المسمى أبا عباد الهمدانى [٢] ، ويروى عن أبى مِخنَف [٣] ، وعن محمد بن السائب الكلبى [٤] ، وعن عبيد بن شرية [٥] ، وعن بعض المحدثين [٦] ولكنه إلى جانب ذلك يروى مجموعة كبيرة من الأخبار التى لا يسندها إلى أحد [٧] . وهى بالطبع ترجع إلى رواة مختلفين ، قد يكون منهم وهب نفسه [٨] . والأمر الجدير بالملاحظة أننا نرى جل الأخبار قبل الصفحة المئة من الكتاب منسوبة إلى وهب ، ولكنها تقل شيئاً فشيئاً حتى تكاد تنعدم بعد ذلك .

والكتاب كما قلنا يتناول تاريخ اليمن ، فيبدأ بخلق العالم ، وقصص آدم وأولاده ، حتى عهد نوح وأولاده . ثم يلتفت وهب إلى العرب من الساميين ، وإلى عرب الجنوب خاصة ، ويسرد تاريخ أقيالهم وملوكهم ، ويعنى بغزواتهم فى أرجاء الأرض ، ويذكر هجرة عمرو بن عامر من اليمن إلى شمال بلاد العرب ، كما يذكر بعض ملوك غسان .

ولا يختلف كتاب التيجان لوهب كثيراً عن كتاب عبيد بن شرية فى طريقة العرض . فهما يطلقان لخيالهما العنان فى تصوير الوقائع ، ويلونان الحوادث التاريخية

---

(١) كتاب التيجان ٧٥، ١١٥ ، ١٢٨ وغيرها .
(٢) ٢٥١ . (٣) ١٢٥ ، ١٨٠ . (٤) ١٣٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ .
(٥) ٦٦، ٢٠٩ . (٦) ١١١ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ٢٣٧ وغيرها .
(٧) ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٦ وغيرها . (٨) ٢٥٥ ، وانظر حلية الأولياء جـ ٤ .

بأطياف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة ، كما يدخلان في تاريخهما الكثير من الحوادث التي لا أصل لها ، ولذلك يصدق عليهما اسم القصص التاريخي أكثر من أي نعت آخر . ونحن نعدها امتداداً للحركة القصصية التاريخية التي كانت موجودة في الجاهلية . ولعل الذي نسخ الكتابين في نسخة واحدة رجل حكيم ، عرف منهما مواطن الشبه هذه ، التي تجعلنا لا نجد بينهما كبير فرق .

ويكشف هذا الكتاب عن بعض خصائص وهب ، فهو مثل الجاهليين مغرم بالشعر ، مكثر من روايته . وأكثر هذا الشعر منحول سخيف ركيك . ينسب وهب إلى آدم أنه قال حين قتل هابيل [1] :

تَغَيَّرَتِ البلادُ ومَن عليها ... فَوَجْهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
وجاوَرَنا عدوٌّ ليس يهدى ... لَعِينٌ لا يَمُوت فَأَسْتَرِيح
أيا هَابِيلُ يا ثَمَرَ الفُؤاد ... أَبَعْدَ العَيْنِ مَسْكَنُكَ الضَّرِيح
مَحَلٌّ تَخلَقُ الأجسادُ فيه ... وَيَبْلَى عندَه الوجهُ الصَّبِيح
فَعَيْنِي لا تَجِفُّ عليك سَحًّا ... وقلبي الدهرَ محزونٌ قَرِيح

ولكن هناك بعض أشعار جيدة . ينسب إلى عبد شمس أنه قال يوصي ابنه بابليون [2] :

أَلَا قُلْ لبابليونَ والقولُ حِكمةٌ ... ملكتَ زمامَ الشرقِ والغربِ فاعْدِلِ
وَخُذْ لبني حامٍ من الأمرِ وَسْطَه ... فإنْ صَدَفُوا يوماً عن الحق فاقْتُلِ
وإن جَنَحُوا بالقولِ للرفقِ طاعةً ... يُريدون وجهَ الحقِ والعدل فاعدل

---

(١) ١٧ . (٢) ٤٩ .

ولا تُظْهِرَن الرأى فى الناس يَجْتَرُوا عليك به واجْعَلْه ضربة فَيْصل
ولا تأخُذَنَّ المال من غير وَجْهِه فإنك إن تَأْخُذْه بالرفق تسهل

ويروى وهب أيضا بعض أشعار ينسبها للنابغة الذبيانى ، ولبيد ، والأعشى ، وامرئ القيس [1] . أما بيت النابغة ومقطوعة لبيد فهما فى ديوانيهما ، وأما مقطوعتا الأعشى وامرىء القيس فلم أجدهما فى ديوانيهما المطبوعين .

وقد تأثر وهب بالقرآن أيضا فى القصص التى ورد ذكرها فيه ، فيحاول أن يتبع خطاه ، وأن يستند إلى آياته . يقول فى وصفه الخلق [2] : « فاضطرب الماء وهاج ، فاصطفق ، فأزبد ، فصار أرضا ، فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد ثم رفع الله السماء وهى دخان «فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين» وخلق الملائكة ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، أسكنهم السماوات يسبحون ويهللون ويقدسون الواحد القهار ، وخلق الجبال فى الأرض أوتادا » .

وتظهر عند وهب نزعة إسلامية واضحة ، فهو يعنى بجلب آراء العلماء المختلفين فى بعض المواضع ، مثل اختلافاتهم فى خلق الجنة ، وفى قتل قابيل وهابيل [3] .

وأسلوب وهب فى كتابه بسيط صريح منطلق لا تثقله أى حلى ، ولا يقف عند زينة ، ولكن نجد عنده القطع الأرجوانية التى تكلمنا عنها فى أثناء حديثنا عن عبيد ، تلك القطع رسائل المشتركين فى الحوادث وخطبهم وشىء من حوارهم قال وهب [4] : « ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا ، وهو : « شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة

---

(١) ٧٦ ، ٧٧ ، ١١٥ . (٢) ٣ . (٣) ٢٦ . (٤) ٢٦ .

وأولوا العلم ، قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . حكم الحى القيوم أنه إذا اعتكر الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان ، وغاب هذا اللسان ، فعبدت الأوثان ، وقتل الولدان : أن يبعث الله محمدا بالعدل والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، ، نبى لا نبى بعده ، ولم يخلف الله وعده ... »

وتذكرنا هذه القطع الأرجوانية بالشاعر الشعبى فى المقاهى فى مصر ، إذ نراه يقص حكايته بأسلوب بسيط منطلق ، حتى يأتى إلى حديث أبطال قصصه وخطبهم ، ورسائلهم ، فنرى أسلوبه يرتفع ويجمل ، بل نراه يفخم من لهجته وينطق بها متعملا مترويا . ولا يظهر فى هذه القطع الأرجوانية من الحلى إلا السجع والازدواج وتوازن العبارات . ويبدو أن وهبا كان عارفا باللغة وأساليبها الأدبية . يقول فى شرحه للآية « لا عاصم اليوم من أمر الله » فى أثناء كلامه عن نوح [1] : « والعرب تجعل فاعل فى موضع مفعول ، قال الله : « فى عيشة راضية » و« ماء دافق » أى مرضية ومدفوق » .

وأخيرا نجد فى تاريخ وهب ماوجدناه فى مواعظه من إسرائيليات تنفذ إليه وتشيع فيه ، وخاصة أن الموضوعات التى تناولها كانت تساعد على هذا الانتشار وأظهر ماتتضح هذه الإسرائيليات فى الجزء الأول من الكتاب الذى يعالج فيه المؤلف كيفية خلق العالم وآدم وأولاده حتى نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة . كما يشتد وضوحها أيضا فى تناوله لقصة بلقيس وسليمان . ويبدو أن وهبا كان يحسن العبرية والسريانية ، فنراه يذكر الاسم وترجمته العربية ، فقينان عبرانى تفسيره

---

(١) ٢٤ .

باللسان العربى مشترى[١]، و مهليل عبرانى وتفسيره باللسان العربى ممدوح[٢] ومالالى سريانى وتفسيره بالعربى مسيح الله[٣].

و يلاحظ عليه الأستاذ كرنكو وهو يصف غزوات ذى القرنين قائلا[٤]: «هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا ، وهذا الشعب يصل إلى هرات ومرو وسمرقند، وهذا ينفذ إلى جاجا و بلخا وحابلجا و بارد، وأرض يأجوج ومأجوج» يلاحظ عليه ملاحظة جديرة بالاهتمام. يقول[٥]: «هذه الأسماء كلها محرفة فى الأصل ، والمراد بجاجا مدينة جاج فيما وراء النهر، وهى بجيمين فارسيين، وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت شاش . و بلجا محرف من بلخ بالخاء ، وحابلجا لعله محرف من جابلق . والظاهر أن هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث فى آخرها ألف . وأما بارد فلا أدرى أى بلد يعنى بهذا» . فلو صدقت هذه الملاحظة لكان وهب يحسن الآرامية ، أو يأخذ عمن يحسنها .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل نراه يذكر بعض اللغات الأخرى مثل الحميرية حين يقول[٦] : « وكان يقال لحمير « العرنجج » ، والعرنجج : العتيق» وحين يقول[٧]: «ذوشدد بلغة حميرة كقولك : ذوشطط أى ذوعطاء»، ومثل اللغة الحامية حين يقول[٨]: «الشام اسم أعجمى من لغة بنى حام ، وهو طيب تفسيره بالعربى » .

قد نخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه الاطمئنان من معرفة وهب باللغة العبرية والسريانية ، وفى نفسنا شىء من معرفته باللغة الآرامية والحميرية . ومما يزيدنا يقينا بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول فى كثير من المراجع بأنه قرأ الكتب ، أو العدد الفلانى منها ، وأن تفسيره الكلمات العبرية والسريانية

---

(١) ٢١ . (٢) ٢١ . (٣) ٢١ . (٤) ٩٩ . (٥) هامش ٩٩ .
(٦) ٥٦ . (٧) ٧٨ . (٨) ٤٩ .

كان صحيحا فى أغلبه . وربما استمد وهب بعض معارفه مما كان شائعاً من قصص بين أهل الكتاب ، وإن لم يوجد فى إنجيل أو توراة .

هذا هو وهب بن منبه فى « كتاب التيجان » صورة مكبرة مهذبة من عبيد ابن شرية ، صورة أحاطت بما تركه عبيد من الأخبار ، وأكثرت من الإضافات الأجنبية عن العرب الجاهليين ، وهى إضافات أملاها الإسلام والقرآن ، وإضافات أملاها الاتصال الشديد بأهل الكتاب ، وتقبل المسلمين لمعلوماتهم ومعارفهم . وإذن فوهب هو المؤرخ القصاص ، الذى تغنى بمفاخر وطنه ، وأشاد بها ملحمة نثرية بسيطة صريحة ، تلبس وشيا من الشعر والقرآن والرسائل والخطب والأحاديث المحبرة المجملة ، وقد صاغها الخيال فى إطار أدبى جذاب .

وهذه فقرة من كتاب التيجان[1] :

« ملك الهمال بن عاد

المعروف بذى شـــدد ، ملك متوج

وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير . والهمال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار الملك إلى همال ذى شدد دخل إلى المغارة التى دفن فيها أخوه شداد بن عاد ، فأخرج التاج وتتوج به . وكان لقمان غيبه فى تلك المغارة ، لأنه لم يكن متوجا ، كان متواضعاً لله . فلما ولى الهمال بن عاد أخذ الملك أخذا شديداً ، فولى ذلك حينا من الدهر

---

(١) ٧٨ .

ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط بن عاد بن مناح، أى ذو عطاء » .

وينسب حاجى خليفة [١] إلى وهب كتابا آخر يسمى « كتاب الفتوح » ولكن المؤرخين الآخرين لا يذكرون عنه شيئاً آخر .

عاصم بن عمر

نرجع إلى المدينة لنجد عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى المتوفى عام ١١٩ أو ١٢٠هـ ، وقد روى عاصم عن أبيه ، واشتهر بأحاديثه عن حياة الرسول عامة ، حتى وصفه ابن قتيبة بأنه « صاحب السير والمغازى [٢] » ، وروى عنه محمد بن إسحاق والواقدى .

وتوضح اقتباسات ابن سعد فى طبقاته عناية عاصم بالفترة المكية من حياة الرسول ، إلى جانب عنايته بالفترة المدنيه . كما توضح مقتطفات الطبرى أنه اهتم بتاريخ الخلفاء الراشدين ، وخاصة أخبار فتنة عثمان . ويذكر عاصم سند رواياته فى غالب الأحيان ، ولكنه يهمله كثيراً أيضا ، ويتبع غيره فى رواية الأشعار على ألسنة المشتركين فى الحوادث [٣] . وإنما يمتاز بأنه لم يقتصر على جمع الحوادث وروايتها ، بل كان يبدى رأيه فيها ، ويعلق عليها [٤] .

وهذا مثال من أخباره فى وصف بيعة العقبة [٥] :

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤ : ٣٨٧ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .
(٤) نفس المرجع ٢ : ٨٩ . (٥) نفس المرجع ٨٨ .

« قال ابن اسحاق ، وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة ابن نضلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة [1] الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟قال: الجنة .قالوا: ابسط يدك . فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ماقال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

الزهرى

أشهر مؤرخى جيل التابعين هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى عام ١٢٤ هـ . وقد أمره خالد بن عبد الله القسرى بكتابة السيرة له [2] ، كما أمره أيضاً بكتابة كتاب عن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ولم يتمه [3] . ومن الواضح أن قُرَّة بن عبد الرحمن يعنى الكتاب الأخير بقوله : « لم يكن للزهرى

---

(١) نهكة الأموال : نقصها . (٢) الأصفهانى : الأغانى ١٩ : ٦٩ .
(٣) نفس المرجع ٥٩ .

كتاب إلا كتاب نسب قومه [١] » . ويبدو أن الزهرى، كان واسع المعرفة بالأنساب ، يقول عنه الليث [٢] : « وإن حدّث عن العرب والأنساب قلت : لايحسن إلا هذا » . ويخبرنا الزهرى نفسه أنه كتب « أسنان الخلفاء » لجده [٣]، وهى عبارة عن قائمة يذكر فيها تاريخ وفاة الخلفاء وأعمارهم عند الوفاة ، ومقدار ملكهم ، كما يظهر من القطعتين اللتين اقتبسهما منها الطبرى . ونسب له شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى كتابا يسمى « مشاهد النبى صلى الله عليه وسلم » رواه عنه يونس بن يزيد [٤] . ولا يصل إلينا من الزهرى كتاب خاص مستقل فى التاريخ ، على الرغم من كثرة ما دونه لنفسه أو للأمويين ، حتى كثرت القصص عن هذا التدوين [٥] . ولكن بعض المتأخرين جمع الأحاديث التى اقتطفتها من مدوناته كتب الأحاديث المتأخرة فى مجلد سماه « الزهريات » [٦] .

ويبدو من الشذرات الباقية من كتابات الزهرى فى الطبقات خاصة أنه تناول حياة الرسول عامة ، ولم يقصر نفسه على الغزوات الفعلية وحدها ، وقد تسربت إلى أخباره بعض الإسرائيليات ، حتى قال عنه الليث [٧] : « وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت: لا يحسن إلا هذا » . ويُعزى إلى الزهرى الفضل فى أنه كان أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر فى موضوع واحد ، لإدماجها فى حديث واحد إجماعى، يصدره بأسماء الرواة مجتمعين [٨] . وكانت هذه خطوة إلى الأمام فى العرض التاريخى . وكان الزهرى أيضاً أول من عنى بتدوين الأنساب،

---

(١) الذهبى : تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم ٦٨ .

(٢) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ . (٣) الطبرى : التاريخ ٢ : ١٢٦٩، ١٢٨٤ .

(٤) السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٨٨ .

(٥) ابن سعد: الطبقات ٢ : ١٣٥ . (٦) كتاب المغازى الأولى ومؤلفوها ٦٧ .

(٧) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ . (٨) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٠٩ .

فاتجه بذلك وجهة جديدة فى التاريخ . وقد سار الزهرى على منوال غيره من المؤلفين فى ذكر الإسناد تارة [١] ، وحذفه أخرى [٢] ، وفى العناية بإدخال الشعر فى أخباره [٣] .

وللزهرى فضل كبير على الحركة التاريخية ، إذ أنه نشر كتبه بين الجمهور ، وحض على ذلك [٤] . عن يونس قال الزهرى : « إياك وغلول الكتب » . قلت : «وما غلولها؟» قال : « حبسها عن أهلها [٥] » . وقد افتخر بنشر العلم فقال : « ما صبر أحد على العلم صبرى ، ولا نشره أحد نشرى [٦] » .

وهذه فقرة من كتاب «أسنان الخلفاء» تظهر لنا طريقته فيه . قال الطبرى [٧] : « عن هشام بن الوليد المخزومى أن الزهرى كتب لجده أسنان الخلفاء ، فكان فيما كتب من ذلك :

« ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين . وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ، فى قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر » .

وهذه فقرة من حياة الرسول فى مكة تتناول مبعثه صلى الله عليه وسلم [٨] : « قال ابن إسحاق ، فذكر الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : « أن أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ،

---

(١) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٥ .
(٢) ابن هشام : السيرة ١ : ١٢ ، ٧٢ ، ٣٣٨ ، وغيرها .
(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، وغيرها .
(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ .
(٥) نفس المرجع . (٦) نفس المرجع .
(٧) ٢ : ٤٢٨ . (٨) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٤٩ .

حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح » . قالت : « وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده » .

وأسلوب الزهرى كما يبدو من هذه الفقرات سهل منطلق جميل بسيط .

موسى بن عقبة

ينقضى جيل الزهرى ، ويظهر جيل آخر ، كله من تلاميذه . ونبدأ بموسى ابن عقبة المتوفى عام ١٤١ هـ . وهو من المشهورين بمعرفة المغازى ، وألف فيها كتاباً رواه عنه ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم المتوفى عام ١٥٨ هـ [١] . وقد ضاع هذا الكتاب إلا شذرات نحاول أن نتبين صورته منها . ويبدو أنه كان أصغر حجماً من كتب المغازى الأخرى ، لأن مالك بن أنس يقول عنه [٢] : « عليكم بمغازى موسى بن عقبة ... فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ولم يكثر كما كثر غيره » . وقد أكد بعضهم لألويس شبرنجر Aloys sprenger فى دمشق أنه توجد منه نسخة هناك ، ولكنه لم يستطع أن يراها [٣] .

ولكن وجدت فى المكتبة البروسية الرسمية قطعة من هذه المغازى ، ترجمها الأستاذ ادوارد سخاو E.chasau إلى الألمانية فى عام ١٩٠٤ [٤] . ويتضح من هذه القطعة

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣١٠ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ .

(٣) كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٧٠ .

(٤) سخاو : القطعة البرلينية من مغازى موسى بن عقبة ، (تقرير عن أعمال المجمع البروسى للعلوم عام ١٩٠٤) .

أن موسى لم يتناول المغازي بالمعنى الخاص ، بل تناول الهجرة أيضاً . وقد اقتبس ابن سعد كثيراً منه عن طريق أستاذه الواقدى [١] ، وعن طريق ابن أخى موسى السابق ذكره [٢] . وتكشف لنا هذه المقتطفات أن مغازى موسى كانت تحتوى على قوائم بالمهاجرين إلى الحبشة ، وبالمشتركين فى بيعتى العقبة ، وبالمحاربين فى بدر [٣] ، فتدعم قول ابن حجر بأنه كتب هذه القوائم عندما رأى شُرَحبيل ابن سعد يدخل فى البدريين من لم يشهد بدرا [٤] . وكان الطبرى من الذين رجعوا إليه ، فاقتبس منه أخباراً يشير أكثرها إلى عهد الخلفاء الراشدين ، والأمويين ، إلى جانب عهد الرسول [٥] . ويروى فى الأغانى خبر يدل على أن موسى بن عقبة اهتم بالأحداث الجاهلية أيضا [٦] .

نرى مما سبق أن موسى بن عقبة ينفرد عن المؤلفين قبله بعنايته الزائدة بالقوائم ، وتدوينه لتاريخ الخلفاء الراشدين ، وبعض الأمويين ، بل التاريخ الجاهلى أيضاً . ويختص بمراعاته أكثر من غيره لنظام الإسناد [٧] ، وإن تركه أحياناً [٨] . ويعنى أيضاً بالأخذ عن مدونات من سبقه ، مثل ابن عباس [٩] ، كما يعنى بالوثائق المكتوبة [١٠] . ويقتبس بعض الأشعار [١١] ، ويحاول ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً [١٢] . ويمتاز أيضاً بعنايته بأخبار الحزب الزبيرى ، ولعل سبب ذلك

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، وغيرها .
(٢) نفس المرجع ٢ : ١ ، ٣ : ١ ، وغيرها . (٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١ : ٣ ، ١ .
(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ . (٥) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٨٣ .
(٦) أبو الفرج : الأغاني ٣ : ١٦ (٧) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٥٠ ، ١٨٥١ ، ٢٠١٤ وغيرها . (٨) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٧٥٥ . (٩) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٦ .
(١٠) البلاذرى : فتوح البلدان ٨٠ . (١١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، وغيرها .
(١٢) هو روفتس : المغازى الاولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٧٣ .

أنه يكثر الرواية عن جده لأمه أبي حبيبة مولى الزبير بن العوام [١] ، كما يروى عن علقمة بن وقاص الليثي الذي يبدو أنه كان في جيش الزبير وطلحة يوم الجمل [٢].

وهذه فقرة من تاريخه تبين لنا طريقة تناوله وأسلوبه [٣]: « موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير قال : «لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه و بايعوا علياً، جاء علي إلى الزبير ، فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسل السيف ، ووضعه تحت فراشه ، ثم قال : « ائذن له » . فأذنت له ، فدخل فسلم على الزبير ، وهو واقف بنحوه ، ثم خرج . فقال الزبير : «لقد دخل المرء ، ما أقصاه . قم في مقامه فانظر: هل ترى من السيف شيئاً ؟ » فقمت في مقامه ، فرأيت ذباب السيف فأخبرته ، فقال : « ذاك أعجل الرجل » . فلما خرج على سأله الناس ، فقال : « وجدت أبرّ ابن أخت وأوصله » . فظن الناس خيراً ، فقال علي : « إنه بايعه » .

ويظهر لنا في هذه الفقرة نظرة الحزب الزبيري لمسألة الخلاف بين علي والزبير، أكثر مما يظهر أي شيء آخر . وهذا ما يلاحظ على موسى في أغلب أخباره ، التي يتتبع فيها أخبار الزبيريين حتى عهد عبد الملك بن مروان .

سليمان بن طرخان

تنتقل الكتابة التاريخية إلى البصرة ليظهر فيها سليمان بن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ . ولم تذكر المراجع القديمة التي بين أيدينا أنه ألف كتباً ، وإن كنا نرى اسمه يتردد في الطبري . ولكن الأستاذ فون كريمر وجد مخطوطا يحتوى على مغازي الواقدي التي لا تصل إلا إلى إجلاء بني النضير من المدينة . ثم تكمل

---

(١) الطبري : التاريخ ١ : ٢٩٨١ ، ٢٩٩٨ وغيرها .

(٢) نفس المرجع ٣١٠٣ ، ٣١٣٧ .

(٣) نفس المرجع ٣٠٧٣ .

بجزء من مغازى أبى المعتمر سليمان بن طرخان التيمى المسماة « السيرة الصحيحة » كما يقول الناسخ [١] . وتبدأ سيرة سليمان بالكلمة الأولى فى السطر ١٩ من الصفحة ٣٦٠ ، وتنتهى فى الصفحة ٤٣٧ . فهى تتألف من ٧٧ صفحة من النسخة المطبوعة .

ولا نستطيع من هذا الجزء الباقى من سيرته أن نحكم : هل تناول التاريخ الجاهلى ، وتاريخ النبى فى مكة ، أو اقتصر على المغازى وحدها ، وإن كان الاسم «السيرة» قد يجعلنا نميل إلى الظن بأنه تناول الفترة المكية من حياة الرسول أيضاً. ولكن الطبرى يذكر له خبرين عن خلق آدم [٢] ، وعن حرق إبراهيم [٣] ، ثم لم يذكر له شيئاً فى حياة الرسول ، وإنما يرجع إليه ثانية فى عهد عثمان ، حيث يروى بعض ما حدث فى الفتنة . ولا ندرى لهذا سبباً : أكان الطبرى غير واثق بمغازيه ، أم لم تصل إليه ، أم لم يؤلف سليمان مغازى ، وهذه المغازى التى بين أيدينا محمولة عليه .

ويرى قارئ « سيرته » أن الأخبار موجزة مضغوطة متسقة منتظمة لا تكثر خلالها الفواصل والزوائد، كما نرى عند غيره من المؤرخين . فهو لا يذكر الأسانيد، ولا يعنى بالروايات المتعددة ، وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعداها . ويمتاز وصفه بالقوة والحياة ، يشعر القارئ أنه مشرف على المعركة يرى الأبطال ويشاركهم مشاعرهم وأفعالهم ، كما يشعر بأن المؤلف لا يكتفى بمجرد الأعمال وإنما يدقق فيها ويبسطها بسطا صادقا ، يجعلنا نستطيع أن نميز ما يدور فى خلجات المؤمنين

---

(١) فون كريمر : مغازى الواقدى ٤٣٨ . المقدمة ٣٣ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٩١ . (٣) نفس المرجع ٢٦٦ .

فى كل موضع من المواضع . وكثيراً ما تكون هذه الانفعالات فى غير صالح المسلمين [١] .

ولكننا نراه يأتى بروايات غريبة فى الغزوات الكبيرة المعروفة ، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون . ولنذكر على سبيل المثال ذلك الدور الذى قام به نعيم بن مسعود الأشجعى فى غزوة الخندق . فسليمان يراه من الجواسيس على النبى ، على حين يراه المؤرخون الآخرون من المؤمنين الذين خدموا النبى خدمة عظيمة ، وساعد على تفريق كلمة المشركين واليهود بخداعهم . وكذلك يأتى بروايات مخالفة فى غزوات بنى قريظة والحديبية وخيبر ومؤتة ووفاة الرسول . أما المؤلفون الآخرون فلا يعنون بذكر رواياته على الرغم من اهتمامهم بسرد غيرها من الروايات الكثيرة . ولا ندرى ما سبب هذا الاهمال ، إلا أن هناك ظناً يخامرنا ، وهو أن كثيراً من أخباره كان يصور المسلمين صوراً لا ترضيهم أو لا ترضى بعضهم [٢] . ويورد سليمان أخباراً عن العباس لانجدها عند غيره من المؤرخين [٣] . وهى كلها فى جانب العباس ، مما يغرى المرء بالقول إنها من وحى العباسيين . ولكننا - بعد كل ذلك - نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل [٤] .

ويعنى سليمان بإيراد الآيات القرآنية [٥] ، وشرح مناسباتها التاريخية ، والاعتماد عليها ، كما يعنى أيضا بالشعر [٦] . ولكن هذا الشعر قليل متضائل بالنسبة لغيره من الكتاب .

---

(١) انظر غزوة الخندق وغيرها . (٢) انظر غزوتى الخندق وخيبر .
(٣) ٣٩٦ ، ٤٣٥ . (٤) مقدمة فون كريمر ٦ . وابن حجر : تهذيب التهذيب .
(٥) ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، وغيرها (٦) ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ وغيرها .

وهذه المغازى لها أهمية فوق كل ذلك ، إذ أنها أقدم كتاب تاريخى يتناول حياة الرسول ، سلم من الضياع ، ووصل إلينا شبه كامل ، فيماعدا الجزء الذى وجده بيكر من مغازى وهب . وهاك بعض الأمثلة التى تصور لنا طريقة تناوله للتاريخ . يقول فى وصفه لموقعة الخندق [١] : « فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أتاه المشركون ، فنزلوا به ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، بلغ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كل مبلغ . فحصروهم حصاراً شديداً ارتاب منه المنافقون ، وشكوا فى نبى الله صلى الله عليه وسلام ، وأساءوا اللفظ . فقام رجل من الأنصار يقال له مغيث بن بشير ، فقال : « أوعدنا محمد أن يفتح قصور فارس والروم واليمن ، ولا يتبرز أحدنا إلى الخلاء من رحله ؟ والله لغرور » . وتابعه على ذلك رهط من المنافقين ، فأنزل الله تعالى : « و إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » . وزعموا أن قبيلتين من الأنصار ، بنى حارثة بن الحارث و بنى سلمة ، هموا أن يخلوا مراكزهم ، وقالوا : « يانبى الله ، إن بيوتنا خَلِيّة ، نخاف عليها السَّرَق » . فلهم يقول الله تعالى : « يقولون إن بيوتنا عَوْرة ، وما هى بعورة ، إن يُريدون إلا فراراً » . وذكر فى سورة أخرى : « إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله وليُّهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . فقالوا بعد ذلك : « ما نحب أن نهم بالذى هممنا به إذ كان الله ولينا » :

و يظهر أسلوب سليمان فى هـــذه الفقرة سهلا بسيطا سيالا ، حاراً صادقا موجزاً .

وهذه فقرة مما اقتبسه الطبرى من سليمان [٢] : « معتمر بن سليمان التيمى

---

(١) ٣٦٣ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٩٦٣ .

قال : ثنا أبي قال ثنا أبو بصرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري ، قال : « سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم وكان في قرية له خارجة من المدينة ، أو كما قال ، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه ، قال : وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحوا من ذلك ، قال : فأتوه ، فقالوا له : « ادع بالمصحف» . قال : فدعا بالمصحف ، قال : فقالوا له : « افتح السابعة » قال : وكانوا يسمون سورة يونس السابعة ، قال : فقرأها حتى أتى على هذه الآية « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » . قال : قالوا له : « قف » . فقالوا له : « أرأيت ما حميت من الحمى ، آلله أذن لك أم على الله تفترى ؟ » قال : فقال : « امضه ، نزلت في كذا وكذا » . قال : وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبل لإبل الصدقة ، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة ، امضه . . . »

ويلاحظ في هذه الفقرة ، وفي فقرة ثانية في الطبري[1] تتناول تكملة الحادثة ، الإكثار من اعتراض « قال » في السياق ، مما لا نجد مثله كثيراً عند الطبري ، مما يجعلنا نرجح أنه من خصائص كتاب سليمان الذي أخذ عنه الطبري . ولكن المغازي التي بين أيدينا ليس فيها هذا الاعتراض الكثير . ونحن لا نستطيع أن نعمم هذا الحكم من فقرتين فحسب ، لأن الفقرات الباقية في الطبري من القصر بحيث لا تظهر فيها هذه الظاهرة

---

(١) نفس المرجع ٣٠٠٦ .

عوانة بن الحكم

من مؤرخي العراق أيضاً أبو الحكم عَوانة بن الحَكَم الضرير الثقة المتوفى عام ١٤٧ هـ أو ١٥٨ هـ ونسب له ابن النديم فى «الفهرست[١]» كتابين: كتاب التاريخ» و «كتاب سيرة معاوية و بنى أمية». وقد شك بعض العلماء فى الكتاب الأخير، ونسبه لمنجاب بن الحارث التميمى المتوفى عام ٢٣١ هـ.

وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزى أن عوانة كان عثمانيا يضع الأخبار لبنى أمية، وترجح دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأى[٢]. ولكن الهيثم بن عدى يروى خبرا عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة، وكيف أنه ترحم عليه وذكر فضله، مما يدل على أنه كان يظهر العثمانية تَقيَّة منه، وخاصة أنه فى نهاية الخبر السابق يستفسر من الجالسين إذا ما كان أحد عيون الأمويين حاضرا. فإذا تحقق من عدم حضور أحد يمدح محمدا مدحا رائعا.

ولا تؤيد الأخبار الباقية لنا منه عند الطبرى[٣] والبلاذرى[٤] تلك التهمة، إذ لا يظهر فيها أى هوى للأمويين. ولعل الطبرى والبلاذرى لم يذكرا لنا تلك الأخبار التى تظهر فيها عثمانيته وأمويته. ويجب أن نحترس فى هذا الرأى لأننا نجد كثيرا من التهم توجه لعوانة تريد الغض من قدره، مثل تلك الأخبار التى

---

(١) الفهرست ٩١.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء ٦: ٩٤، ودائرة المعارف الإسلامية مادة (عوانة).

(٣) التاريخ ١: ١٨٢٧، ٢٧٥٥، ٤: ٣٢٠٤ وغيرها.

(٤) فتوح البلدان ٦٢، ٩٤، ١٨٢، ٢٤٠، وغيرها.

تجعله لا يميز بين الشعر والقرآن [١] ، على الرغم من قولهم إنه كان عالما بالشعر والفصاحة [٢] ، وعلى الرغم من القصة السابقة التي يمدح فيها محمد بن عبد الله بالآية «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله » مما يدل على معرفة بالقرآن أيضا . كل هذه التهم تدلنا على أنه كان كثير الخصوم ، وإن لم نستطع معرفتهم ، وسبب خصومتهم له ، وإن خامرنا الظن بأن عثمانيته المزعومة ربما كانت سبب هذه العداوة .

ولا تتناول المقتطفات الباقية من تاريخ عوانة شيئاً من حياة الرسول ، وإنما تبدأ ببيعة أبي بكر ، وتصف الردة ، وفتح العراق ، وفتح بلدان فارس المختلفة مثل المدائن وجَلُولاء ، وهمذان ، ووقعة الجمل ، وحروب علي ومعاوية ، والحسن ومعاوية ، وتاريخ العراق ، وقتل الحسين ، وثورة عبد الله بن الزبير ، وتنتهي الأخبار بخروج ابن الأشعث وقتل ابن القِرِّية [٣] .

ونرى عَوانة في هذه المقتطفات لا يعنى بالأسانيد كثيراً ، ويبحث عن المواد في كل مكان حتى ليأخذها من أقارب المشتركين في الحوادث . ويعنى كذلك بإيراد الأشعار .

وهذه فقرة من أخباره [٤] : « يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير ابن يزيد عن الشعبي قال ، قال عبدالله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ . (٢) نفس المرجع ٩٥

(٣) انظر فهرست الطبري والبلاذري .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ٩٤ .

صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن مَنَّ الله علينا بأبي بكر : اجتمع رأينا جميعاً على ألا نقاتل على بنت مَخاض وابن لَبُون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين . وعزم الله لأبي بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطة المخزية فأن أقروا بأن من قُتل منهم فى النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم » .

وأسلوب عوانة منساب منطلق ، يعنى فى بعض الفقرات بالحوار ، والشعر ، وما يدور بين أبطال الحوادث .

محمد بن إسحاق

أخيراً يظهر محمد بن إسحاق المتوفى عام ١٥٠ هـ تقريباً ، فيؤلف كتاباً يغطى به على جميع هؤلاء المؤرخين المتقدمين ، ويجذب أنظار المتأخرين على الدوام . ويسمى كتاب ابن إسحاق هذا « كتاب المغازى » . ولم يصل إلينا الكتاب بصورته الأصلية ، ولكن وصل إلينا قسط عظيم منه فى سيرة ابن هشام . ويقال إن مكتبة كوبريلى بالآستانة تحتوى على مخطوطة من النسخة الأصلية من الكتاب . ولكن الأستاذ هوروفتس يرى أننا إذا ما عاينا هذه المخطوطة وفحصناها فحصاً دقيقاً ، وجدناها نسخة من كتاب ابن هشام لا ابن إسحاق [1] .

وقيل [2] إن سبب تأليفه المغازى أنه دخل ذات يوم على المنصور وبين يديه ابنه المهدى ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يابن إسحاق ؟ قال :

---

(١) المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٨٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة ١ : ط

« نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين » ، قال : « اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا » . فصنف ابن إسحاق هذا الكتاب ، فقال له المنصور : « لقد طولته ، يا ابن إسحاق ، اذهب فاختصره » . وحفظ المنصور الكتاب الكبير فى خزانته .

ولكن الأستاذ فيك [١] يرى أن ابن اسحاق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة ولا فى بغداد أو الحيرة ، وإنما فى المدينة قبل إقامته لدى العباسيين . ويستدل على ذلك بأن رواته الذين أخذ عنهم جميعا مدنيون ومصريون ، ولا يذكر أحدا من العراقيين . كما نجد أحد تلاميذ ابن اسحاق المدنيين يروى الكتاب ، وذلك هو إبراهيم بن سعد [٢] المتوفى عام ١٨٤هـ. بل نرى فى الكتاب حوادث ما كان يرضى لذكرها العباسيون مثل تدوينه اشتراك العباس فى بدر إلى جانب الكفار ، وأسر المسلمين له [٣] ، ذلك الخبر الذى حذفه ابن هشام فيما بعد خوفا من العباسيين وربما أجرى ابن إسحاق بعض التغييرات الإضافية الطفيفة فى الكتاب إرضاء للخليفة، مثل رواياته عن مناصرة العباس للإسلام ، أو اعتناقه له سرا [٤] ، وإن كانت هذه الروايات أيضا رواها عنه تلميذه المدنى إبراهيم بن سعد ، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يجرها فى العراق المرة الأولى .

وعلى الرغم من عـــدم وصول النسخة الأصلية من الكتاب إلينا ، وحذف ابن هشام أجـــزاء كثيرة منه ، نستطيع تكوين صورة قريبة

---

(١) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ٨٠ .
(٢) نفس المرجع . وياقوت : معجم الأدباء ٦
(٣) الطبرى : التاريخ ١ : ١٣٤١ ، ١٣٤٤ . وابن سعد : الطبقات ٤ : ٧ .
(٤) ابن هشام : السيرة ٢ : ٣٠١ .

من الكمال عنه ، بفضل المقتطفات العديدة عند الطبرى والمؤرخين المتأخرين ، والتى قد تكون محذوفة عند ابن هشام . ويساعدنا على تكوين الصورة تصريح ابن هشام بما أجراه من تغييرات فى الكتاب ، إذ يصدره بقوله [1] « وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ماذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، و بعض يسوء بعض الناس ذكره ، و بعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقص إن شاء الله تعالى ماسوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » . وكان ابن هشام دقيقا فى تصريحه بكل مايفعله من زيادة أو حذف على الدوام . وفيما عدا هذه التغييرات لا يجرى أي عمل من عنده فى النص الأصلى .

ويظن أن الكتاب كان فى أصله مقسما إلى ثلاثة أجزاء : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازى . أما المبتدأ فيتناول التاريخ الجاهلى . وقد خص ابن هشام هذا الجزء بالحذف أكثر من غيره ، ولكن الطبرى حفظ جزءا كبيرا منه فى تاريخه وتفسيره وخاصة ما يتعلق بالأنبياء منه ، كما حفظ الأزرقى أخبارا كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم ، ، ووعى كتاب عبيد بن شرية بعض أخباره كما ذكرنا من قبل .

---

(١) نفس المرجع ١ : ٤ .

وينقسم هذا الجزء إلى أربعة فصول : يتناول أولها تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام منذ خلق العالم حتى ظهور عيسى . ويرجع ابن إسحاق فى هذا الفصل إلى وهب بن منبه ، وابن عباس ، وأهل الكتاب ، بل التوراة ذاتها ، إلى جانب رجوعه إلى القرآن . ويورد فيه أخبار أهل الكتاب ، والقبائل العربية التى ذكرها القرآن مثل عاد وثمود ، بل التى لم يذكرها القرآن مثل طسم وجديس . ويتناول الفصل الثانى تاريخ اليمن فى العصور الجاهلية . وسبب عنايته بهذا التاريخ وجود الإشارات العديدة فى القرآن إليهم ، مثل إشاراته إلى أهل الأخدود ، وأصحاب الفيل . وقد وعى ابن هشام والطبرى جزءاً كبيراً من هذا الفصل . وأما الفصل الثالث فيتناول القبائل العربية وعبادة الأصنام . ويتناول الرابع أجداد النبى المباشرين وديانة أهل مكة . ولا يعنى ابن إسحاق فى هذا الجزء بالأسانيد إلا نادراً ، وأغلبها فى الفصل الأول .

أما المبعث فيشمل حياة النبى فى مكة ، والهجرة ، وربما العام الأول من نشاطه فى المدينة . ونراه فى هذا الجزء يصدر الأخبار الفردية بموجز حاولها ، ويدون مجموعات كاملة من القوائم : فقائمة بمن أسلم من الصحابة بدعوة أبى بكر[١] ، وأخرى بالمهاجرين إلى أرض الحبشة[٢] ، وثالثة بمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة[٣] ، وأخرى وأخرى مما يطول حصره ويوجد فى هذا الجزء وثيقة انفرد بها ابن إسحاق من بين المؤرخين الآخرين ، وهى معاهدة النبى الأولى[٤] ، التى كتبها لينظم التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود ، بعد هجرته

---

(١) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٦٧ . (٢) نفس المرجع ٣٤٤ .
(٣) نفس المرجع ٢ : ٣ . (٤) نفس المرجع ١٤٧ .

إلى المدينة مباشرة . ويعنى ابن إسحاق فى هذا الجزء بالترتيب الزمنى للحوادث ، كما تزداد عنايته بالأسانيد التى يرجع معظمها إلى شيوخه المدنيين .

وأخيراً المغازى ، وهى تتناول حياة النبى فى المدينة منذ أول سهم أطلق فى الحرب إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . وتملأ الغزوات الحربية هذا الجزء ، فلا يستطيع المؤلف أن يفصل الكلام إلا عن مرض النبى الأخير ووفاته . ويسير ابن إسحاق فى هذا الجزء على خطة رسمها لنفسه ولم يتجاوزها ، إذ يبدأ الخبر بملخص حاو لمحتوياته ، ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التى أخذها من رواته ، وفى النهاية يكمله بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة . وتكثر القوائم أيضاً ، عمن حضر بدراً من المسلمين ، ومن استشهد من المسلمين يوم بدر ، ومن قتل ببدر من المشركين ، وما ماثل ذلك فى الغزوات المختلفة . ويلتزم ابن إسحاق هنا إيراد الأسانيد ، وجميع رواته من المدينة ، وأهمهم الزهرى وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبى بكر ابن حزم ، الذين أمدوه بما ساعده فى ترتيبه الزمنى للحوادث . وقد زاد ابن إسحاق المادة التى أخذها منهم بما جمعه بنفسه من غيرهم من الرواة ، ومن أقارب المشتركين فى الحوادث المؤرخة .

وقد لقيت هذه السيرة منذ ظهورها عناية كبيرة ، فرواها خمسة عشر تلميذاً لابن إسحاق كما يقول فيك [1] . أما ابن هشام فكان يرجع إلى رواية البكائى ، وأما الطبرى فكان يرجع فى الغالب إلى رواية سلمة بن الفضل المتوفى عام ١٩١ هـ ، وأما ابن الأثير فى «أسد الغابة» وابن حجر فى «الإصابة» فكانا يرجعان إلى رواية يونس بن بكير المتوفى [2] عام ١٩٩ هـ . ثم كان الناس إلى اليوم يرجعون إليها فى نسخة ابن هشام بعد ظهور هذه .

---

(١) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ٨٧ . (٢) نفس الموضع .

ونرى ابن إسحاق يرجع فى سيرته إلى العلماء من غير المسلمين فى أخباره عن الحوادث اليهودية والمسيحية والفارسية . ولذلك نراه يذكر بين رواته « بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول [١] » أو أهل التوراة » [٢] أو « من يسوق الأحاديث عن الأعاجم » [٣] . ويعد هذا تحولا خطيرا من مدرسة المدينة التى لم تكن تقبل مثل هذه الأخبار ، ولا مثل هؤلاء الرواة . فابن إسحاق أول من اقترب بمدرسة المدينة إلى مدرسة اليمن فى قبول هذه الأخبار ، حتى إنا نراه يأخذ بعض الأخبار عن وهب بن منبه . بل يذهب ابن إسحاق إلى أبعد من ذلك ، فيعطينا فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية [٤] .

وعنى ابن إسحاق بالرجوع إلى الوثائق والمدونات ، كما حاول أن يذكر الأسانيد ، ولكن مادته الكثيرة المتنوعة اضطرته إلى توسيع دائرة رواته ، وقبول بعض الأحاديث غير المرضية والإخلال بنظام الأسانيد ، مما أزعج مدرسة الحديث وهالها ، فكالت له التهم ، وسحبت منه ثقتها [٥] .

وينفرد ابن إسحاق عن باقى المؤرخين فى كثرة الأشعار التى أدخلها فى كتابه كثرة أفزعت معاصريه ومن بعدهم . إذ لم يكن يتحقق من صحة الشعر بل يدخل ما يحمل إليه دون تحقيق . ولذلك نجد عنده أشعارا منتحلة ظاهر الانتحالها ، مثل تلك التى قيلت فى عهد عاد وثمود [٦] . ولكن بعض العلماء [٧] اعتذر عنه بأنه اقتبس هذه الأشعار لتزيين تاريخه لا لصحتها عنده ، فهو ما كان يتمسك بأنها صحيحة

---

(١) الطبرى : التاريخ ١ : ١٤٠ (٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٤١٣ ، ١٤١
(٣) ابن هشام : السيرة ١ : ٣٢٨ .
(٤) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ٨٩ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٣٩٩ . (٦) الطبرى : التاريخ ١ : ٣٣٦ وما بعدها .
(٧) هوروفتس : كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ٩١ .

لو أثبت له غير ذلك . وكل ما في الأمر أن من الكتابة التاريخية كان اعتاد إدخال الشعر للتحلية منذ الجاهلية . كما أنه اعتذر عن نفسه بأنه ليس عالما بالشعر وأنه يدون ما يُحمَل إليه (١)

وكان ابن إسحاق غاية في النزاهة في تاريخه ، يدون آراء المذاهب المتعادية بكل أمانة وبدون تحيز ، حتى لقد روى أشعار المشركين في هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (٢) ، بحيث اضطر ابن هشام أن يلطف من حدة بعض عبارات هذه الأشعار أو أن يحذفها . (٣)

ويمتاز ابن إسحاق بأنه لم يكن أول من عرض فترات حياة الرسول باتساق في كتابه فحسب ، بل وضع أفق هذه السيرة ، فجعلها تاريخا للرسالة الالهية عامة ، فأدخل فيها تاريخ الأنبياء المتقدمين . ويتحلى كذلك بتلك الخصيصى التي تحلى بها أستاذه الزهري من قبل ، وأعنى بها العناية بربط الأحاديث بموجز يربط بينها ويحوى ما تشمل من أخبار ، والعناية بتأليف خبر عام موحد من الروايات المختلفة . وهو يعطينا في بعض الأحيان تعليقات على الحوادث برأيه . ويظهر ابن إسحاق في سيرته كاتبا ساحرا ، يعرف كيف يجمع مادته بطريقة تجذب انتباه القارئ على الدوام ، ويصور لنا الشخصيات التي يصفها بحيث تبرز أمامنا كأننا نراها رأى العين . ومهما اختلفت وجهات النظر في سيرته ، فإنها تقف فوق مستوى عام جدا ، بل تزداد قيمتها حين نعرف أنها من أقدم الكتب العربية النثرية التي وصلت إلينا .

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤ .

(٢) انظر شعر ابن الزبعرى في بدر وأحد في السيرة .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣ : ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ وغيرها

ويبدو أن ابن إسحاق لم يكتف بتاريخه الجاهلي والنبوي ، بل أراد أن يكمل التاريخ الإسلامي أيضا ، فألف « كتاب الخلفاء [١] ». ولكن هذا الكتاب فقد ، ولم يصل إلينا منه غير فقرات عند الطبري ، تدون حوادث وقعت في عهد الخلفاء الراشدين ، وعثمان خاصة ، بل بعض حوادث العهد الأموي أيضا [٢] . ومع ذلك ليست هذه الفقرات كافية لأن تعطينا صورة واضحة نحكم بها على الكتاب .

وهذه فقرة من مغازيه في غزوة مؤتة [٣] : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » .

« فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف . فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : « ما يبكيك يا ابن رواحة » ؟ فقال : « أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم . ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فلست أدري كيف لي بالصدر

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٢ وياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٤٠١ .

(٢) الطبري : التاريخ ١ : ١٨٢٣ وما بعدها . والبلاذري : فتوح البلدان ٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، وغيرها .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ١٥ .

بعد الورود» . فقال المسلمون : « صحبكم الله، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين» فقال ابن رواحة :

لكننى أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا

أو طعنةً بيدىْ حَرّانَ مُجْهِزَةٍ بحربةٍ تَنْفُذُ الأحشاءَ والكَبِدا

حتى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا

الفصل الثالث

مظاهر الكتابة التاريخية

رأينا أن الكتابة التاريخية العربية نشأت من تيارين مختلفين :

(١) تيار قديم يتألف من القصص الخيالية والأساطير الشعبية المأثورة عن قدماء العرب، التى كان يرويها القصاص المتنقلون عن العرب الشماليين وأنسابهم وأيامهم، وعن ملوك العرب الجنوبيين وفتوحاتهم. وهى قصص حشها وسداها الخيال المبالغ، تكثر بها الأشعار، التى كانت فى بعض الأحيان، وخاصة فى الأيام، المحور الذى تدور عليه القصة النثرية، حتى إنه عندما نسيت تلك الأشعار، اندثرت تلك القصص، فاضطر القصاص إلى استحداث أشعار جديدة وإحاطتها بقصص مبتكرة عن هذه الأيام. ولا تعتمد هذه القصص على توقيت تاريخى لحوادثها، بل تتناول الأحداث الهامة، والحروب خاصة، دون ربط بينها، ودون أن تنظم البحث فى المجرى التاريخى العام. ويتمثل هذا التيار الخيالى فى العهد الإسلامى فى عبيد بن شرية ووهب بن منبه.

(٢) والتيار الثانى جديد استحدثه الإسلام، وهو تيار السيرة، الذى يتكون من أخبار علمية دقيقة مضبوطة، متفرعة من علم الحديث، ولذلك نالها ما نال من نقد وتمحيص. وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة والخيالية التى أحاطت بشخص الرسول بسبب إجلال المسلمين له. وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويروونها، ويربطون بينها، مستعينين بالآيات القرآنية.

وقد لعب التيار الأول، وخاصة فرع الأيام منه، دورا فى هذا التيار، وخاصة

فى الفترة المدنية من حياة الرسول ، التى تمثل بالغزوات . ويظهر هذا الدور فى طريقة تناولهم لهذه الغزوات ، فإنها تشبه طريقة تناول القصاص القدماء لأيام الجاهليين بل لعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل فى السير دور البطل فى قصص الأيام الجاهلية . ونذكر إلى جانب هذا كله آثارا يهودية ومسيحية ، بل آثارا فارسية صقيلة ، وجدت أيضا فى هذه السير . وتظهر هذه الآثار جميعا عند وهب بن منبه الذى تعتبر كتابته روايات تاريخية لا كتبا تاريخية . ولكن تيار السيرة كان له صبغة علمية دقيقة فى المدينة أكثر منها فى أى موطن آخر ، لارتباط المؤرخين فيها بالأحاديث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين ، ويظهر هذا التيار العلمى الدقيق عند أبان وعروة .

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية نشأت نشأة عربية خالصة ، لا يد فيها للفرس أو اليونان فهذه الكتابة بجميع صورها استمرار لما كان يوجد فى الجاهلية أو تفرع لعلم الحديث العربى الخالص . وكان أوائل المؤرخين عربا ، سواء كانوا من الجنوب مثل عبيد ووهب ، أو من الشمال كأبان وعروة . ولكن هذه الحركة العربية ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس ، بل صار جميع المؤرخين من الموالى فى أواخر القرن الثانى من الهجرة . وإذن فالتاريخ الإسلامى يخالف كثيرا من العلوم الإسلامية الأخرى فى نشأته العربية الخالصة ، ولكن لا يلبث أن يقع فى أيدى الموالى مثل جميع العلوم الإسلامية الأخرى .

وأخذت هذه التيارات التاريخية المختلفة فى التطور ، فنجد التاريخ القبلى الجاهلى أو الأيام والأنساب يعنى بها فى العراق خاصة ، ويدخلها علماء اللغة فى نطاق أبحاثهم ، إذ أنها تعينهم على فهم الأشعار التى يريدون جمعها وشرحها . ويتمثل لنا جهد اللغويين فى هذه الناحية فى نقائض أبى عبيدة المتوفى عام ٢٠٩ هـ

التى يروى فيها أخبار الأيام ، و يطيل فى ذلك . أما العناية بالأنساب فتتمثل فى محمد ابن السائب الكلبى المتوفى عام ١٤٦ هـ ، وغيره من النسابين .

ونجد القصص الخرافية الشعبية تستمر فى الوجود ، فيظهر عبيد بن شرية الذى يعنى بتاريخ القبائل البائدة من العرب ، ووهب بن منبه الذى يعنى بتاريخ اليمن وأهل الكتاب ، و يسير على النمط الجاهلى المأثور فى القصص الشعبية الخرافية المغرقة فى الخيال .

وأما تاريخ السِّير والمغازى المولود فى المدينة ، والمتفرع من علم الحديث فقد تأثر منذ بادئ الأمر بذلك العلم ، فظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه ، وهما أبان وعروة ، و إن لم يصر ضربة لازم بل كانا يتجاهلانه كثيراً . وأخذت السير والمغازى تتطور سريعا ، فنجد الزهرى يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام ، إذ يحاول الربط بين الأحاديث ، بل يحاول تأليف خبر واحد من الأحاديث المختلفة بعد إدماجها ، كما يحاول ألا يجعل من التاريخ وقفا على فئة معينة من الناس ، و إنما ينشره للجمهور كله . هذا إلى جانب عنايته بالأنساب ، وخاصة أنساب قومه.

و يشرع مؤرخو المدينة فى الالتفات إلى ميادين تاريخية أخرى على يد عروة وموسى بن عقبة ، إذ يمدان البحث فيشمل تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين وكان ذلك الامتداد من تأثير السيرة أيضاً .

و يتوج هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقى ، الذى يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الدينى عند المُحَدِّثين ، وذات النموذج الملحمى عند القصاص الشعبيين ، والذى يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل ، وأعنى بها تاريخ الجاهلية ، وتاريخ النبوات قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الخلفاء بعد محمد . فمحمد بن إسحاق هو المؤرخ الذى تتمثل فيه كل التيارات التاريخية الموجودة فى عصره .

وتمتازا الحركة التاريخية العربية بعدة ظواهر ، نحاول أن نسجل بعضها هنا غير ما ناقشناه من قبل . وأول هذه الظواهر أن المؤرخين لم يكونوا موظفين حكوميين ، وإنما كانوا أناسا عُنُوا بالتاريخ لمجرد الرغبة الشخصية ، وحباً فى ذلك العلم . ولذلك نجدهم يؤلفون ما يحلوله من كتب ، وعما يحلوله من حوادث ، دون أن تصدر إليهم الأوامر بتناول أمر من الأمور ، وترك آخر ، إلا فى أحوال نادرة ، كان يلتمس الحكام فيها من المؤرخ معالجة بعض الأمور التى تلذلهم . وضمن لهم ذلك حرية الأداء ، وصدق التناول ، والنزاهة فى معالجة الأحداث ، وخاصة أن أكثر هؤلاء المؤرخين كانوا رجال فقه وحديث .

وهاك مثالا يبين مقدار استقلال هؤلاء المؤرخين ، وشجاعتهم فى الثبات على آرائهم ، وعلى مايعتقدونه صدقا . روى الشافعى عن عمه قال[1] : « دخل سليمان بن يسار على هشام [بن عبد الملك] فقال : « من الذى تَوَلّى كِبْرَهَ منهم ؟ » [يشير إلى الآية فى حديث الإفك] قال : « عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول » . فقال : « كذبت ، هو على . يابن شهاب ، من هو ؟ » قال : « عبدالله بن أبىّ » . فقال : « كذبت ، هو على » . قال : « أنا أكذب ، لا أبا لك ، فوالله لو نادانى منادٍ من السماء : إن الله أحل الكذب ، ما كذبت . حدثنى سعيد بن المسيب ، وعروة ، وعبيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : « إن الذى تولى كبره عبد الله بن أبى » . قال : فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : « ارحل ، فوالله ما ينبغى لنا أن نحمل عن مثلك » . قال : « ولِمَ ، أنا اغتصبتك على نفسى أو أنت اغتصبتنى ؟ فحل عنى » . قال : « لا ، ولكنك استدنت ألف ألف » . فقال : « قد علمت ، وأبوك قبلك ، أنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك . . .

---

(١) الذهبى : تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم ٧٢ .

وكان هؤلاء المؤرخون علماء يدرسون تلاميذ من الشعب ، ويؤلفون كتبهم لهؤلاء التلاميذ ، وللشعب أيضاً ، غير معتمدين على الخلفاء في الغالب ، إلا عند الشدائد .

والظاهرة الأخرى هي صحة الأخبار المروية عن الحوادث الإسلامية خاصة ، وقد أتتهم هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا بها هذه الأخبار . فهم لم يأخذوا إلا عن العدول الثقات ، واتبعوا في ذلك ما اتبعه علماء الحديث في تقدمهم ، فسلمت لهم مجموعة كبيرة من الحوادث . وأتت هذه الصحة أيضاً من ابتكارهم التوقيت الكامل ، حتى كانوا يوقتون الحوادث بالأيام والشهور والأعوام . وذلك مما يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها . حقا ، أن هذا التوقيت بدأ ضعيفا مضطربا ولكن الروايات المختلفة من المصادر المتباينة جعلتهم يطمئنون إلى بعض التواريخ ويستطيعون أن يتحققوا من صحتها .

ولكن هذه الروايات الكثيرة التي كانت تعتمد غالبا على الذاكرة سببت بعض وجوه النقص والفوضى . فإن النسيان اعترى بعض هؤلاء المؤرخين ، فجعل بعض رواياتهم يضطرب ، ويسوده الفرضي . ولكن على الرغم من هذا يجب أن نقول إن تلك الظاهرة كانت نادرة ، وكان المؤرخون يكتشفونها سريعاً بفضل الروايات الأخرى الآتية عن مصادر مخالفة للأولى .

وأدت العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة إلى التكرار إلى درجة الإملال ، فالحادث الواحد يوصف عدة مرات ، دون أية زيادة أو تفصيل ، على حسب الأسانيد المختلفة التي روته . ولكن هذه الظاهرة — فيما يبدو — كانت سائدة في الكتب الكبيرة وحدها . أما الرسائل الصغيرة فقد نجت من هذه الظاهرة ، كما يبدو من سيرة سليمان بن طرخان .

وجعلهم تأثرهم بالأحاديث يصبون كل تقدمهم على الأسانيد دون النصوص ،

مما يسر الانتحال والاختراع . فإن الإسناد يمكن اختراعه بسهولة . وهكذا يمكن القول بدخول بعض الموضوعات فى الميدان التاريخى ، وإن كانت هذه الظاهرة يجب النظر إليها على أنها ضعيفة نادرة بسبب نقدهم الشديد الرجال . ولكن لم يكن هذا النقد ذا فائدة كبيرة فى ميدان التاريخ القبلى والقصصى والإسرائيليات .

وآخر الأمر نجد التاريخ الإسلامى بجميع صوره يسير على النمط المعروف عن الرواة الجاهليين ، من سوق القصة التاريخية ، وتقطيعها بالأشعار التى قد تشرح شيئاً من الحوادث أو تعلق عليها ، أو لا تتصل بها إلا اتصالا طفيفا ، وكذلك يعنون بسرد الرسائل والوثائق منذ أوائل عهدهم بالتاريخ .

وإذا ما أحببنا أن نتكلم عن أسلوب الكتب عامة ، وجدناه عربيا سهلا بسيطا مبينا ، ونجد تصوير الحوادث فيه وضوح وقوة وحياة ، حتى ليشعر المرء بالحوادث تقع أمامه ، لولا تقطع القصة بالأشعار والتكرار .

ونختم كلامنا عن الكتابة التاريخية بذكر المدارس التاريخية ، التى ربما شعر بها القارئ من قبل . فإننا عند تدقيق النظر فى تطور الحركة التاريخية نجد أن هناك ثلاث مدارس واضحة كل الوضوح .

المدرسة الأولى فى الظهور هى المدرسة اليمنية التى يمثلها عبيد بن شرية ، ووهب بن منبه . وهى المدرسة التى تظهر فيها الكتابة التاريخية العربية للمرة الأولى . وهى تعنى بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن ، وتسرد التاريخ قصصا خيالية وأساطير شعبية . فهى تمثل استمرار التيار الجاهلى أصدق تمثيل ، ولذلك نستطيع أن نطلق على مؤرخيها اسم القصاص الشعبيين ، أو الأخباريين ، وعلى كتاباتهم اسم الروايات التاريخية .

والمدرسة الثانية مدرسة المدينة ، وهى تتألف من الفقهاء والمحدثين من أمثال

أبان وعروة والزهرى وهى مدرسة التاريخ العلمى الدقيق الذى يعنى بالسيرة والمغازى ويسير على خطا علم الحديث ، ويعنى بالأسانيد . وتتطور مادة هذه المدرسة ، فتتسع وتشمل تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين .

وأما المدرسة الثالثة والأخير فى الوجود فمدرسة العراق ، يمثلها عوانة وأبو مخنف والكلبى وغيرهم . وهذه المدرسة واسعة الصدر تعنى بكل تيارات التاريخ الجاهلى والإسلامى . وتعطى عناية خاصة لتاريخ الخلفاء ، وكان من أثر عنايتهم تلك أن احتل العراق المركز الأول فى هذه التواريخ . لذلك نجد تاريخ العراق وأحداثه مفصلة مطولة لدينا ، بينما الأمصار الأخرى ، لاتنال غير الإشارات .

ثم نجد هذه المدارس الثلاث تلتقى فتخرج لنا محمد بن إسحاق . فيتناول هذا المؤرخ تاريخ اليمن وأهل الكتاب مثل اليمنيين ، ويتناول السيرة مثل المدنيين ، وتاريخ الخلفاء مثل العراقيين . بل نجد عنده خصائص المدارس الثلاث ، من قصص شعبية ، وأسانيد ، وأشعار لتحلية القصص ، ومن أخبار أهل الكتاب ، وباختصار جميع ما فى المدارس يوجد عند محمد بن إسحاق .

خاتمـــة

هذه هى الـكتابة العربية فى نشأتها ، قد عرضتها فى مراحلها المختلفة عرضاً شاملا ، مدققا ، يحاول أن ينفذ إلى الأعماق ، و يستكشف فى الظلمات ، ما يستهدى به إلى السبيل السوى .

وقد رأينا العصر الجاهلى لا يعرف من الـكتابة غير بعض المعاهدات والأحلاف و بعض العقود التجارية ، وما إلى ذلك مما يمكن تسميته بالـكتابات السياسية والاقتصادية . أما الـكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر ، ولم تصل إلينا منه أية شواهد كتابية فنية .

وعندما جاء الإسلام انتشرت الـكتابة انتشاراً كبيرا ، وظهرت الرسائل المتبادلة بين النبى والرؤساء ، و بين الخلفاء والولاة ، بل ظهرت أنواع كثيرة من الـكتابات السياسية ، والـكتابات الدينية ، والـكتابات الإخوانية . ولـكنها كانت كتابة صريحة بسيطة لا ترمى إلا إلى مجرد الأفهام ، دون محاولة للتزين أو التجمل ، و إن كانت فى أواخر الصدر الأول من الإسلام ظهرت عليها بعض المظاهر التى تنبىء عما ينتظرها فى العصر القادم من عمل وفن .

ومنذ أوائل العصر الأموى ظهر كتاب محترفون ، وظهر ديوان الرسائل . فعرفت الرسائل الفن ، وتنافس الـكتاب فى إظهار البراعة والفصاحة ، ليكسبوا رضى الخلفاء وعطفهم . فظهرت أمامنا عدة ظواهر تدل على تطور الـكتابة وترقيها فهذا كاتب يطيل ، وذلك يكثر من الغريب ، وثالث يستعمل السجع ، و رابع ينتقى ألفاظه و يهذب صيغتها ، إلى غير ذلك .

وأخيراً تظهر حلقة من الـكتاب فى بلاط هشام بن عبد الملك يتزعمهم سالم

مولاه ، فتأخذ من الثقافات اليونانية والفارسية ما تجمل به أفكارها وأساليبها . وتتمثل هذه المدرسة بأجلى مظاهرها ، وأوضح خواصها ، فى عبدالحميد الكاتب ، الذى كان يمثل أيضاً تطور الخصائص الكتابية منذ البداية إلى النهاية . فعبدالحميد إذن العَلَم البارز فى الصدر الأول من تاريخ الكتابة العربية الفنية ، وهو الذى اطلع على كتابات من سبقه ، وتشبع بها ، وهضمها ، وأخرجها خصائص يتحلى بها وكأن لم يتحل بها أحد قبله . ولكن عبد الحميد — كما رأينا — لم يكن متبعا فحسب ، بل كان مبتدعا أيضاً ، مبتدعا فى أسلوبه الذى لم يرتفع إليه أحد قبله ، ومبتدعا فى أفكاره التى استخلصها من المصادر الثقافية المختلفة فى الشرق العربى فى ذلك العصر . فكان العلم البارز من بين سابقيه ، والمنار الهادى للاحقيه ، ينظر إليه كل من أراد الجمال والفصاحة فى كتابته .

وصفوة القول أن كتابة الرسائل بجميع أنواعها نشأت فى عصر مبكر ، بدافع من الظروف والعوامل التى كانت تحرك الجماعة العربية فى عصرها ذلك . فهى ثمرة الثورة التى قام بها الإسلام ، وأخضع العرب لها ، وأمدهم بأسسها التى يقيمون عليها حياتهم الجديدة . وإذن فكتابة الرسائل الفنية العربية كانت ظاهرة حتمية لم يتجنبها العرب ، وما كانوا مستطيعين أن يتجنبوها ، بعد أن دفعهم القرآن تلك الدفعة ، التى ذهبت بنظمهم الجاهلية السياسية أدراج الرياح ، وأقامت نظما أخرى سامية الذرى ، شامخة البنيان . فالعرب ما كانوا يستطيعون بعد انتشار الإسلام أن يرجعوا إلى جزيرتهم ، وأن يرجعوا إلى نظمهم القبلية فى الحياة الاجتماعية والسياسية . وكذلك ما كانوا قادرين على الرجوع إلى الشعر والخطابة وحدهما فى حياتهم الأدبية . وإذن نعود إلى القول بأن الكتابة الفنية العربية وليدة الثورة التى قام بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فغيرت من تاريخ العرب كل تغيير ، وحولت

أنظار العالم القرون الطوال إلى تلك الأصقاع الإسلامية ، التى سترى من الحضارة والرقى ما لم يره كثير من شعوب العالم المتمدين .

ونحن نرفض القول بأجنبية كتابة الرسائل الفنية كل رفض ، فهى ليست مما أدخله الفرس أواليونان على العرب ، وليست مما أدخله غيرالفرس واليونان ، وإنما ظاهرة عربية خالصة ، لا يد فى نشأتها لأحد غيرالعرب الذين فتح الإسلام أبصارهم وأفهامهم ، وأمدهم بالروح الذى سيبلغ بهم إلى ابتكار مالم يعرفوا ، وإلى الاتصال بما لم يتصلوا به من قبل ، وإلى الشغف الشديد ، والحماس المفرط ، بالعلم والمعرفة . ولكن رفضنا هذا لا يشتط إلى درجة رفض كل تأثير أجنبى ، بل نحن نقبل هذا التأثير ، ونقول بوجوده ، وربما بقوته . فهؤلاء الموالى سرعان ما ينافسون العرب فى هذا الميدان ، منافستهم لهم فى الميادين الأخرى ، وسرعان ما يزاحمونهم على مورد الكتابة الفنية ، ولقد اغتصبوه أخيراً . فكان عبد الحميد وأستاذه بشرى الموالى بما سيكون لهم من مكانة فى هذا الميدان فى مقتبل الزمان .

وإذا كنا نرفض القول بأجنبية كتابة الرسائل الفنية ، فإننا أشد رفضا للقول بأجنبية الكتابة التاريخية العربية . فقد ظهرت هذه الكتابة من العناية بالأحاديث الشريفة وجمعها . فعلم التاريخ العربى الإسلامى وليد علم الحديث الإسلامى العربى المحض .

أما ما كان فى الجاهلية فأقاصيص خرافية وأساطير شعبية عن الأيام والملوك العرب والفرس ، وربما الرومان . أما نشأة كتابة التاريخ المنظمة الدقيقة فكانت على يد العرب من المسلمين بدافع من العناية بجمع الأحاديث . وكانت هذه الكتابة سريعة التطور ، من مجرد جمع لأحاديث دون رابط بينها ، إلى تدوين لتاريخ الأنبياء ، وتاريخ العرب الجاهليين والإسلاميين على يد ابن إسحاق ، فى مدى قرن من الزمان تقريبا .

وقد رأينا عند العرب ثلاث مدارس تاريخية ، كلها عربي النشأة، وكلها يستمد تقاليده مما كان شائعاً عند العرب فى الجاهلية ، ومما استحدثه الإسلام . وقد نقول إن الموالى زاحموا العرب فى هذه الكتابة أيضا ، ولكنا نقول ذلك على أنهم تناولوا هذه الكتابة بعد أن أعطاها العرب الصورة التى ستبقى عليها فى يد هؤلاء الموالى ، ولن يدخلوا عليها غير قليل من التعديل ، وإن أدخلوا فى الأخبار نفسها كثيرا مما جلبوه من بلادهم وثقافاتهم .

وإذن نستطيع أن نصرح ، ونحن على أهبة وضع القلم ، بأن الكتابة الفنية العربية، بجميع صورها من رسائل سياسية ، ودينية، وإخوانية ، ومن كتابة تاريخية ، عربية النشأة ، لم تأتهم عن فرس أو يونان أو هنود ، وإنما نشأت على يدهم وفى بلادهم ، وبدافع من حاجتهم إليها ، ووحى مما خلقه الإسلام من تيارات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تسيطر على الجماعة العربية . ولكنها ما كادت تسير قليلا حتى أمدتها الروافد من كل جانب، روافد هندية وفارسية من الشرق، وروافد هلينية من الشمال والغرب ، والشرق أيضا ، وروافد أخرى ضئيلة الأثر . وقد لا تظهر هذه الروافد فى عصرنا هذا ، ولكن ستظهر وتؤتى ثمارها فى العصور القادمة .

المراجع

١ — أوليرى ، بلاد العرب قبل الإسلام ، طبع ١٩٢٧ .

Oleary: Arabia before Muhammad.

٢ — الدكتور أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ١٩٢٨ .

٣ — البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق دى غويه .

٤ — ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق الاستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .

٥ — الأستاذ خليل يحيى نامى ، أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ، طبع ١٩٣٥ .

٦ — الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .

٧ — السيد عبد الحى بن عبد الكبير الحسنى الكتانى الإدريسى الفاسى ، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية فى المدينة المنورة ، طبع رباط .

٨ — الدكتور زكى مبارك ، النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، طبع دار الكتب المصرية .

٩ — مرسيه ، المجلة الإفريقية ، العددان ٣٣٠ ، ٣٣١ ، عام ١٩٢٧ .

Marcais: Revue Africaine, Nos 330, 331 (1er 2 meTrumestre, 1927)

١٠ — الدكتور طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، الطبعة الأولى .

١١ — الطبرى ، التاريخ ، طبع أوربا .

obeikandl.com

١٢ — ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبع أوربا .
١٣ — الأزرقى ، أخبار مكة ، المطبعة الماجدية .
١٤ — ابن عبد البر ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، طبع الهند .
١٥ — الدكتور شوقى ضيف ، الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، عام ١٩٤٦ .
١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، طبع أوربا .
١٧ — ابن سعد ، الطبقات الكبير ، طبع أوربا .
١٨ — هوروفتس ، المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ، طبع الحلبى .
١٩ — الحيد رأبادى ، مجموعة الوثائق السياسية فى عهد النبوة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٢٠ — اشبيرير : كتب محمد إلى القبائل العربية Dr. Sperber: Die Schriben Muhammads an die Stàmme Arabiens-Mitteilungen des Seminars für Sprachen.
٢١ — أنيس المقدسى ، تطور الأساليب النثرية ، طبع بيروت .
٢٢ — القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، طبع دار الكتب المصرية .
٢٣ — أحمد صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، طبع الحلبى ١٩٣٧ .
٢٤ — ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٩٠٤ .
٢٥ — أبو نعيم الأصبهانى ، حلية الأولياء ، طبع الخانجى .
٢٦ — رسالة الحسن البصرى ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢١ أدب .
٢٧ — ياقوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث .
٢٨ — الدينورى ، الأخبار الطوال ، طبع ليدن .
٢٩ — ابن خلكان ، وفيات الأعيان
٣٠ — محمد كرد على ، أمراء البيان ، ١٩٣٧ .
٣١ — دائرة المعارف الإسلامية ، مواد «تاريخ» و«سيرة» ومواد أسماء المؤرخين .

٣٢ — عبد الحميد العبادى ، علم التاريخ تأليف هرنشو ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٣ — ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، طبع الهند .

٣٤ — وهب بن منبه ، كتاب التيجان ، طبع الهند .

٣٥ — كرنكو ، أقدم كتابين فى الأدب الشعبى الإسلامى ، مجلة الثقافة الإسلامية ، ١٩٢٧ .

٣٦ — حاجى خليفة ، كشف الظنون ، طبع أوربا .

٣٧ — الذهبى ، تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم ، تحقيق فيشر .

٣٨ — البلاذرى ، الأنساب ، تحقيق الورد .

٣٩ — سخاو ، القطعة البرلينية من مغازى موسى بن عقبة .

٤٠ — عبيد بن شرية ، أخباره ، طبع الهند .

٤١ — ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .

٤٢ — سليمان بن طرخان ، السيرة الصحيحة ، تحقيق فون كريمر .

٤٣ — مرجليوث ، محاضرات عن التاريخ العربى .

٤٤ — الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، طبع الخانجى .

انتهى بحمده وتبارك وتعالى

obeikandl.com

فهرس الأشخاص

آدم ١٨٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٧، ٢٢٤
آزر ١٨٨
أبان بن سعيد ٣٠
بان بن عثمان البجلى ١٩٣، ١٩٤
أبان بن عثمان بن عفان ١٩٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨
أبان العطار ١٩٦
إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ١٨٨، ٢١٧
إبراهيم بن سعد ٢٢٤
إبرهة بن الصباح ١٧٣
أبرويز ٢٦، ١٣٢
أبليس ١٠٩
أبى بن كعب ٢٩، ٣٠، ٤٤
ابن الأثير ١٧، ٤٠، ٥٢، ١٧١، ٢٢٧
أحمد أمين ١١، ١٢، ١٦، ١٨، ٣٢
أحمد صفوت ٢٧، ٣٤ — ٣٧، ٤٢، ٤٩، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٩ — ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١١٣، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٣، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥
الأحنف بن قيس ٧٢
الأخنس بن شهاب التغلبى ١٢، ٢٤
إدريس (عليه السلام) ١٨٢
أبو إدريس بن سنان (انظر عبد المنعم)
ادوارد سخاو ٢١٤
أرسطو ١٢١، ١٢٢، ١٦٥
الأزرقى ١٧، ٢٢٥
ابن إسحاق (انظر محمداً)
أسد بن موسى ٢٠٣
إسرائيل ولفنسون ١٠، ١٨، ١٩
الإسكندر المقدونى ١٢١
إسماعيل بن إبراهيم ٢١٤، ٢٢٥
اشبيربر ٣٤
ابن الأشعث (انظر عبد الرحمن بن محمد)
الأشعث بن قيس ١٩٥
الاصطخرى ١٢٦
الأصفهانى أبو الفرج ٢٣، ٢٤، ٢١١، ٢١٥
الأصمعى ٧٣
الأعشى ٢٠٦
أعشى بنى وائل ١٨٥
أكثم بن صيفى ٢٣، ٧٨
ألويس شبرنجر ٢١٤
امرىء القيس ١٨٥، ٢٠٦
أمية بن أبى الصلت ١٢٦، ١٨٥
أنس بن مالك ١٠١
أنيس المقدسى ٣٤
أوليرى ١٦، ١٧
بابليون بن عبدشمس ٢٠٥
بارتلمى ٣٥
الباقلانى ٣١
البخارى ٣٢
البخترى ١٨٨
بديل بن ورقاء ٨٨، ٨٩
بربر بن كنعان ١٩٠

obeikandl.com

البرقى ١٨١، ١٨٢، ١٩٠
البرهان الحلبى ٤٣
بشر بن مروان ٩٠، ٩٦
أبوبكر بن حزم ٩٩
أبوبكر الصديق ٣٠، ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ١٤٨، ١٧٧، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٧٦
البكرى ١٠
البكائى ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٧
البلاذرى ١٩، ٢٣، ١٩٦، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٠
بلال ٢٠١
بلقيس ١٨٧، ٢٠٧
البيرونى ١٧٠، ١٧١
بيكر ٢٠٠، ٢١٩
بيورى ٤
تارخ ١٨٨
تبع أسعد بن ملكيكرب ١٧٣، ١٨٤، ١٩٢
ترفليان ٤
الثعالبى ١٦٦
جابر بن سعيد بن العاص ٣٠
الجاحظ ٢٢، ١٤٦
جب ١٧٠
جبير بن حية ٦٧
أبوجبيرة بن الضحاك ٥٣، ٦٥، ٦٦
جرير بن يزيد ٢٢٢
جعفر بن برقان ١٠٣
جعفر بن أبى طالب ٢٣٠
جعفر بن محمد ١٩٤
ابنا الجلندى ٣٥، ٤٢
الجهشيارى ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣٨، ٤٣ — ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٦٢ — ٦٩، ١٢٦، ١٣٢، ١٦٤
جهم بن الصلت ٤٥
أبوحاتم السجستانى ١٩١
حاجى خليفة ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠
الحارث بن حلزة ٢٢، ٢٤
الحارث بن أبى شمر الغسانى ١٧٩، ١٨٠
أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام ٢١٦
الحجاج ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٣ — ٧٥، ١٥٤
ابن حجر ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧
ابن أبى الحديد ٥٧
حذيفة بن اليمان ٢٩، ٤٤، ٤٥
حسان بن ثابت ١٨٥
حسن إبراهيم حسن ١٦، ٥٣، ٦٧
الحسن البصرى ٩٢، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤ — ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٨
الحسن بن عليل العنزى ٢٢١
الحسن بن على بن أبى طالب ١١٢، ١١٦، ١١٨، ٢٢٢
الحسين بن على بن أبى طالب ٦٢، ٨٦، ٢٢٢
ابن الحضرمى ١٩٧
الحصين بن نمير ٤٢
حطان بن عوف ٢٤
أبوالحكم (انظر عوانة)
حكيم بن حزام ٨٨، ٨٩
حمير ٢٠٨
حنظلة بن الربيع ٢٣، ٣٠، ٤٥، ٤٨، ٤٩
الحيدرابادى ٣٣ — ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٥٢
خالد بن سعيد بن العاص ٤٤

openkandil.com

خالد بن عبد الله القسرى ٩٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢١١
خالد بن الوليد ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٨
خالد بن يزيد بن معاوية ١٧٧
خديجة بنت خويلد ١٩٥
أبو خزيمة بن ثابت ٣٠
ابن خلدون ١٩ ، ٢٦ ، ١٥٥
ابن خلكان ١٢٦ ، ١٦٥ ، ١٧١
خليل يحيى نامى ٢٠ ، ٢٦
الخوارزمى ١٧٠
داود (عليه الصلاة والسلام) ١٠٩
أبو الدرداء ٨١ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢
دغفل النسابة ١٧٨ ، ١٧٩
دنلوب ٣٥
الدينورى ٦٤ ، ٧٣ ، ١٧٣
الذهبى ٢١٢
الرسول ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ — ٤٩ ، ٥١ — ٥٣ ، ٥٩ — ٦١ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٤٧ — ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٢ — ١٩٥ ، ١٩٧ — ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ — ٢١٥ ، ٢١٧ — ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ — ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٧٠
رشدين ٦٧
روح بن زنباع ٦٨
ابن الزبعرى ٢٢٩
الزبير بن العوام ٢٩ ، ٤٥ ، ٥٦ — ٥٨ ، ١٩٨ ، ٢١٦
زرعة بن ذى يزن ١٩٦
الزرقانى ٢٩
أبو الزعيزعة ٦٧ ، ٦٨
الزمخشرى ٣١
الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
زهير بن أبى سلمى ١٥٩
زياد ابن أبيه ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٨
زياد بن النضر ١٥٢
زيد بن ثابت ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨
زيد بن حارثة ٢٣٠
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٠٢ ، ١٠٣
سالم مولى أبى حذيفة ٣٠
سالم مولى هشام ١ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
سام ١٨٤
سترابو ١٦
السخاوى محمد بن عبد الرحمن ٢١٢
سرجون الأشورى ١٥
سرجون بن منصور الرومى ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥

obeikandl.com

سعاد (في شعر كعب) ١٩٤
ابن سعد (انظر محمدا)
سعد بن أبي وقاص ٢٩ ، ٥٢ ، ١٤٩
سعيد بن العاص ٥٤
سعيد بن المسيب ٢٣٥
أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري ٢٢٠
أبو سفيان بن حرب ٣٠ ، ١٩٦ — ١٩٨
ابن سلام ٢٢٩
سلمان الفارسي ٨١، ٨٢، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤
سلمة بن الفضل ٢٢٧
سليمان الحكيم ٣٨، ٢٠٧
سليمان بن سعد الخشني ٦٧
سليمان بن صرد ٧١
سليمان بن طرخان أبو المعتمر ٢١٦ — ٢٢٠
سليمان بن يسار ٢٣٥
سهيل بن حسان ١٢٤
السيوطي ٣٠
الشافعي ٢٣٥
الشبراملسي ٤٣
ذوشدد (انظر الهمال بن عاد)
شداد بن عاد ٢٠٩
شرحبيل بن حسنة ٣٣، ٤٥
شرحبيل بن سعد ٢١٥
شرحبيل بن السمط الكندي ٥٧
شريح بن هانىء ١٥٢
الشريف الرضي ٥٧
الشعبي ٨٩ ، ٢٢٢
شمر يرعش ١٨٩
شمس الدين محمد (انظر السخاوي)
شوفان ٢٠٣
شوقي ضيف ٢٣، ٦٧، ١٢٢
صحار العبدي ١٧٧
الصولي ١٩، ١٣٢
الضحاك بن قيس الشيباني ١٣٣
ضمضم بن عمرو ٢٠
ظاهر بن الحسين ١٥٥، ١٥٦
طاووس ١٠٥
الطبري ٢٠، ٣١، ٥٦، ٧٢، ٧٤، ٨٨، ١٣١، ١٢٢، ١٧١، ١٧٢، ١٩٣ — ١٩٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥ — ٢١٧، ٢١٩ — ٢٢٢، ٢٢٤ — ٢٢٨، ٢٣٠
طرفة بن العبد ٢٣
طسم بن لاوذ بن إرم ١٨٢، ١٨٤
أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ١٨٨
طلحة بن عبيدالله ٢٩، ٥٦ — ٥٨، ٢١٦
طه حسين ٣١، ٤٥، ١٦٣
طهفة النهدي ٤٠
ابن طيفور ١٣٣
عائشة ٥٦ — ٥٨، ٢١٣، ٢٣٥
عابر ١٨٨
عاد ٢٢٦
أبو العاص بن وائل ٢٩
عاصم بن عمر بن قتادة ٢١٠ ، ٢١١، ٢٢٧
عامر بن جرهم الأنصاري ١٨٩
عامر بن فهيرة ٢٩، ٤٥

obeikandl.com

أبو عباد الهمدانى ٢٠٤
العبادى ٤
العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى ٢١١
العباس بن عبدالمطلب ١٩٤، ٢١٨، ٢٢٤
العباس بن مرداس ١٨٥
ابن عبدالبر ٢٦، ٢٩، ٤٣
عبدالحميد بن يحيى الكاتب ١، ٢، ٦٩، ٧٤، ٧٧، ٨٦، ٩٣، ٩٦، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢٤٠، ٢٤١
عبدالحى الكتانى ٢٦، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٤٣-٤٦، ٨٦
ابن عبد ربه ٢٦، ٤٤، ٥٣، ٦٤، ١٩٦
عبدالرحمن بن أبزى ٥٣
عبدالرحمن بن الأشعث ٦٣، ٧٣، ٢٢٢
عبدالرحمن بن نعيم ١٥٥
عبدشمس ٢٠٥
عبدشمس بن مناف ١٦، ٢١
عبدالعزيز بن مروان ٩٠
عبد الله ١٨٩
عبدالله بن أبى بن سلول ٢٣٥
عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث ٤٤-٤٦، ٤٨، ٥١
عبدالله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم ٣٦، ٢٢٧
عبدالله بن أبى بكرة ٦٧، ٦٨
عبد الله بن جحش ٣٣، ١٩٦، ١٩٧
عبد الله بن خلف الخزاعى ٥٣
عبد الله بن رواحة ٢٣٠
عبد الله بن الزبير ١٩٥، ٢٢٢
عبد الله بن سالم ١٢٤
عبد الله بن سعد بن أبى سرح ٣٠
عبد الله بن طاهر بن الحسين ١٥٥
عبد الله بن عامر بن كرز ٥٣
عبدالله بن عباس ٥٣، ٥٥، ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٧، ٢١٥، ٢٢٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب ٨٠، ٨٣
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٢
عبد الله بن أبى فروة ٦٧
عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى ٥
عبد الله بن مروان بن محمد ١٣٣
عبد الله بن مسعود ٣٠، ٢٢٢
عبد الله بن المعتز ٢٢١
عبد الملك بن مروان ٦٤-٦٨، ٧٠، ٨٨، ٨٩، ٨٦، ١٠١، ١١٣، ١٥٤، ١٨٢، ١٩٤ — ١٩٦، ٢١٦
عبد مناف ٢١
عبدالمنعم بن سنان ٢٠٢، ٢٠٣
عبيد بن الأبرص ١٨٥
عبيد بن شرية ١٧٨، ١٨١ — ١٩٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٧
أبو عبيدة ٢٣٣
عبيد الله ٢٣٥
عبيد الله بن أوس ٦٦، ٦٨
عبيد الله بن زياد ٦٢، ٧١، ٧٤
عتبة بن أبى سفيان ٨٤
عتبة بن غزوان ١٤٩
عثمان بن عفان ٢٩، ٤٨، ٥٤ — ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٦، ٧١، ١٥٢، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٠

obeikandl.com

العجلى ٥٠
عدى بن زيد ٢٦
عروة بن الزبير ٣٦، ٨٨، ١٧٧، ١٩٤ —
١٩٦، ١٩٩، ٢١٣، ٢٣٣–٢٣٥، ٢٣٨
ابن عساكر ٤٣
عطاء الخراسانى ١٠٩
عقال بن شبة ٩٣، ٩٦
ابن أبى العقب ٧٣
العلاء بن الحضرمى ٣٠
العلاء بن عتبة ٤٤
علقمة بن وقاص الليثى ٢١٦، ٢٣٥
على بن أبى طالب ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٤٥، ٤٦،
٥٥ — ٦٠، ٦٦، ٧٦، ١٥٢، ١٥٣،
١٥٥، ١٨٨، ٢٢٢، ٢٣٥
عمر بن إبراهيم ١٧٣
عمر بن الخطاب ٤٧، ٤٩–٥٤، ٥٧، ٦١،
٦٥، ٦٦، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٢، ٩٧،
٩٨، ١١٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥،
١٧٠، ١٧٧، ١٩٤، ٢٢٠
عمر بن عبد العزيز ٦٩، ٩٢، ٩٧–١٠٧،
١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٥٥، ١٧٧، ١٩٣
عمر بن عبد العزيز الوراق ٩٩
عمر بن عبد الله بن عتبة ٩٠
عمر بن هبيرة ١٠٥
عمرو بن حزم الأنصارى ٤٠، ١٤٧
عمرو بن سعيد بن العاص ١٢٢
عمرو بن العاص ٥٧، ٥٨، ٦٠، ١٨١، ١٨٢
عمرو بن عامر ٢٠٤
عمرو بن نافع ٧٤
عمرو بن هند ٢٣
عمليق ١٧٦
ابن العميد ١، ١٦٦
عنترة ١٨٨
عوانة بن الحكم أبو الحكم ٢٢١–٢٢٣،
٢٣٨
عون بن عبد الله ١٠٥
عياض الثمالى ٥٨
عيسى ابن مريم ٤٠، ١٩٢، ٢٢٦
غيلان بن مسلم الدمشقى ١٠٠، ١٠٦
فاطمة الزهراء ٨٦، ١٩٠، ٢٠١
أبو الفرج (انظر الأصفهانى)
الفردوسى ١٨٨
فلايشر ٣٥
فون كريمر ٢١٦–٢١٨
الفيروزابادى ١٩
فيك ٢٢٤، ٢٢٧
قابيل ٢٠٦
القالى ١٦، ٢٠، ٢٢
قبيصه بن ذؤيب ٦٤، ٦٨
ابن قتيبة ٢٤، ٢٦، ٦٤، ١٣٢، ١٩٤، ٢١٠
قتيبة بن مسلم الباهلى ١٨٩
قرة بن عبد الرحمن ٢١١
ابن القرية ٦٤، ٧٣، ٧٥، ٢٢٢
القرطبى ٤٣
ذو القرنين ٢٠٨
القلقشندى ٤٧–٤٩، ٥١، ٥٢، ٦٥، ٨٨،
١٣٢، ١٣٣
قيصر ٢١

obeikandl.com

قينان ٢٠٧
الكتانى (انظر عبد الحى)
الكرمانى ١٧٣
كرنكو ١٨١، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٨
كسرى ٢١
كشتاسب ١٣١
كعب الأحبار ١٧٥
كعب بن زهير ١٩٤
ابن كيسان مولى بنى المغيرة ١٩٧
لاوذ بن رام ١٨٤
لبيد بن ربيعة ٢٤، ٢٠٦
لقمان بن عاد ١٠٦، ١٠٩، ١٨٢، ٢٠٩
لويس شيخو ١٨
الليث ٢١٢
مالالى ٢٠٨
مالك بن أنس ٢١٤
المبرد ٧٤
المتلمس ٢٣
المثنى بن حارثة ٤٩
مجنون بنى عامر ٧٣
محمد (انظر الرسول)
محمد بن إسحاق ٣٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٠-٢١٣، ٢٢٣-٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤١
محمد ابن الحنفية ٨٦
بو محمد بن خير الوراق ١٠٧
محمد بن السائب الكلبى ٢٠٤، ٢٣٤، ٢٣٨
محمد بن سعد ٣٢، ١٠٨، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٤
محمد بن عبد الرحمن (انظر السخاوى)
محمد بن عبد الله بن الحسن ٢٢١، ٢٢٢
محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى ١٨٨
محمد بن على (انظر محمد بن الحنفية)
محمد كرد على ١٦١
المختار ٧١، ٧٢
أبو مخنف ٢٠٤، ٢٣٨
المرقش الأكبر ٢٤، ٢٦
مروان بن الحكم ٥٥
مروان بن محمد ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣
ابن مسعود (انظر عبد الله)
المسعودى ٧٦، ١٢٦، ١٦٦، ١٧٦
أبو مسلم الخراسانى ١٦١
مسلمة بن عبد الملك ١٩٣
مصعب بن الزبير ٦٣، ٦٧
المطلب بن عبد مناف ١٦، ٢١
معاذ بن جبل ٧٩، ٩٧
معاوية بن أبى سفيان ٢٩، ٤٤ - ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧-٥٩، ٦٢، ٦٦ - ٦٨، ٨٦ - ٨٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١-١٨٣، ١٨٥-١٩٢، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٢
معاوية بن عمار ١٩٤
معاوية بن مالك ٢٤
معتمر بن سليمان التيمى ٢١٩
معيقيب بن أبى فاطمة ٢٩، ٤٥
مغيث بن بشير ٢١٩
المغيرة بن شعبة ٤٤، ٤٦، ٥٣
المغيرة بن عبد الرحمن ١٩٣
المقوقس ٣٥

obeikandl.com

مكحول ٩٢، ١٨٩
ملكيكرب بن أسعد بن تبع ١٩١
منجاب بن الحارث التميمى ٢٢١
المنذر بن ساوى ٣٥
المنصور ٢٢٣، ٢٢٤
المهدى ٢٢٣
المهلب ٧٥، ٧٦
مهليل ٢٠٨
موسى (عليه الصلاة والسلام) ٤١، ١٩٢
أبو موسى الأشعرى ٥٢–٥٤
موسى بن عقبة ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٤
الميدانى ٢٣
النابغة الذبيانى ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ٢٠٦
نافع بن الحارث ٥٣
ابن نباتة المصرى ٧٤
النبى (انظر الرسول)
النجاشى ٣٥، ٣٩، ٤٠
ابن النديم ١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٦٦، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٣٠
نصر بن حجاج ٨٣، ٨٤
نصر بن مزاحم ٥٧
النضر بن الحارث ١٧٤
أبو نضرة ٢٢٠
أبو نعيم الأصبهانى ٨١، ١٠١، ١٠٣–١٠٦، ١٠٨، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٣
نعيم بن مسعود الأشجعى ٣٤، ٢١٨
نوح (عليه الصلاة والسلام) ١٨٢، ٢٠٤، ٢٠٧
نوفل بن عبد مناف ١٦، ٢١
النويرى ١٩، ١٣٢
هابيل ٢٠٥، ٢٠٦
هاشم بن عبد مناف ١٦، ٢١
هرقل ٤٠
الهرمزان الفارسى ١٧٠
ابن هشام ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٣٣، ٣٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٠
هشام بن عبدالملك ٦٧، ٦٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٣٥، ٢٣٩
هشام بن عروة ٨٨، ١٩٥، ١٩٦
هشام بن الوليد المخزومى ٢١٣
هل ١٠
الهمال بن عاد ذو شدد ٢٠٨ — ٢١٠
ابن أبى هنيدة ١٩٤
هود ١٨٨
هوذة بن على ٤٢
هوروفتس ٣٦، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨
الهيثم بن عدى ٢٢١
وائل بن حجر الحضرمى ٤٠
واصل بن عطاء ١١٣
واقد حليف بنى عدى ١٩٧
الواقدى ١٩٤، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦
ورقة بن نوفل ٢٦
أبو الوفا نصر الهورينى ٤٣
ولفنسون (انظر إسرائيل)
الوليد بن عبد الملك ٦٩، ٧١، ١٩٤
الوليد بن عقبة ٥٨، ٥٩
الوليد بن المغيرة ٣١

obeikandl.com

وهب بن منبه ١٠٨-١١٠، ١١٨، ١٧٥، ١٨٨-١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٢-٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢-٢٣٤، ٢٣٧
ياقوت ١٠، ١١٨، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠
يحي بن آدم ٢٢٢
يحي بن يعمر ٦٧، ٦٨، ٧٤، ٧٥
يزيد بن عبد الملك ١٠٥
يزيد بن معاوية ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٨٧، ٢١٣
يزيد بن المهلب ٦٧، ٦٨، ٧٤
يعرب ١٨٤
يعقوب ١٧٠
يعلى بن منية ٥٥
يوسف بن عمر ٦٧
يونس بن بكير ٢٢٧
يونس بن عبيد ١٠٣
يونس بن يزيد ٢١٢، ٢١٣

obeikandl.com

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٤	الكتابة	الكتابة
١٤	١٠	نامة	تامة
١٩	٥	لأول	الأول
١٩	٦	اسريعا	سريعا
٢٢	٤	يام	أيام
٣١	٥	البلاقون	الباقلانى
٣٤	٤	Sperlber	Sperber
٤٣	١٠	قرر	يقرر
٤٤	٩	عبة	عتبة
٤٩	٢١	كر	بكر
٥٠	١١	الجهشبارى	الجهشيارى
٧٩	١٦	وليذهب	وليذهبْ
٩٣	١٩	الإطنات	الأطناب
٩٤	٤	دَعائه	دُعائه
٩٤	٥	صلاتة	صلاته
٩٨	٧	لثمرة	الثمرة
١٠٤	١	ـذه	هذه
١٠٦	٤	صورة	سورة
١٠٧	٥	رِأس	رأس
١١٩	١	عَما	عمر
١٢١	١	الإسكند	الإسكندر
١٣٥	٢١	غفتك	غفلتك
١٤١	٩	الطخة	لطخة
١٥٠	٨		
١٥٠	١٦	نحيح	نح
١٥١	٧	لقو	لقوا
١٥٤	١٥	وحشة	وحشةِ
١٥٨	١٠	خرى	أخرى
١٥٨	١٨	برتعن	يرتعن
١٧٨	١	الباب الثالث	الفصل الثانى
١٨٦	١٧	الصيغة	الصبغة
١٩٨	٥	لحجاج	الحجاج
١٩٨	١٦	فطلقوا	فطفقوا
١٩٨	١٧	اتركوه	تركوه
٢٠١	٢٠	فأسلوابها	فأسلوبها
٢١٤	١١	غغازى	بمغازى
٢١٤	١٥	sachau chasau	
٢١٩	٧	وسلام	وسلم
٢١٩	١٤	ظ ئفتان	طائفتان

oberkapar.com